المكتبة الزرقاء

ميكي ستروجوف



This is a fan base production, not for sale or Ebay Please delete this file after reading it, and buy the original licensed release as it hits the arabic markets to support its continuity

هذا العمل لعشاق ادب
القصة المصورة العربية
ويهدف في الأساس
لتوفير المتعة الادبية لهم
وليس الهدف الأساسي
منه التربح على الإطلاق.
نرجوا حذف هذا العدد بعد
قراءته وشراء النسخة
الاصلية المرخصة فور نزولها
للأسواق العربية
لدعم استمراريتها.



١

عندما عاد « ميكى » إلى منزله فى ذلك المساء ، وبينما كان يعبر الحديقة ، تناهى إلى سمعه صوت رنين جرس التليفون ، فلم يتمالك أن قال لنفسه :

ـ آمل ألا أصل متأخرا . لابد أن « ميمى » هى التى تطلبنى من « أكابولكو » . .

شرع « ميكى » يعدو نحو المنزل ، غير عابئ بنباتات البيتونيا ، التى كان يطأها بقدميه ، وفتح الباب ، ودون أن يهتم بإغلاقه ثانية ، أسرع إلى الصالون حيث كان التليفون يواصل رنينه .

ألو ! . . نعم ، هذا هو الرقم ! . . . حسنا ، سأنتظر ! . .

ألو ! « ميمى » ؟ ! أهذه أنت يا « ميمى » ؟ ! . . إننى سعيد بأن أسمع صوتك . كيف كانت رحلتك بالطائرة ؟

– رائعة ! كان معى أناس غاية فى اللطف ، ومن المشاهير . كان منهم الترزى « كوكوريكو » ، وبطل الشطرنج « بات مات » . . .

ولكن « ميكى » قاطع هذه الثرثرة الاجتماعية : ثرثرة الصالونات وسألها :

– أقصد هل كانت رحلة الطائرة هادئة ؟

– كانت هادئة جدا ! ولم يتخللها أى تغيير فى برنامجها .

– والمنزل الذى استأجرتيه لقضاء الإجازة ، كيف وجدتيه ؟

– مصادفة ! إننى . . . فقاطعها « ميكى » قائلاً :

ليس هذا ما أعنيه يا « ميمى » . إننى أسأل عما إذا كان المنزل قد أعجبك .

إنه رائع ! لا يمكنك أن تتصور جماله يا « ميكى » ! . . فواجهته تطل على الخليج مباشرة . ومن نافذة حجرتى ، أستطيع أن أشاهد الشاطئ ، وأشجار النخيل والبحر .

– وفيما عدا حمامات الشمس ، ولعب الجولف ، والذهاب إلى السينما ألا تشعرين بملل ؟

عندما عاد « ميكى » إلى منزله فى ذلك المساء ، وبينما هو يعبر الحديقة ، تناهى إلى سمعه صوت رنين جرس التليفون .



– إننى لم أفعل شيئا من كل ذلك يا « ميكى » .

فصاح « ميكى » فى دهشة : ما هذا الذى تقولين ؟ ! أفى المكسيك منذ يومين ، ولم تزاولى بعد أى نشاط ؟

– إننى أقرأ باستمرار . .

– تقرأين ؟ ! هل تريدينى أن أصدق أنك قطعت كل هذه المسافة إلى « أكابولكو » تلك الجنة السياحية ، لمجرد القراءة ؟

– مهلا يا « ميكى » ! فقبل مغادرتى « دونالدفيل » ، استعرت كتابا من مكتبة البلدية . وكنت أنوى قراءة بضع صفحات منه كل يوم قبل النوم ... ولكننى ما بدأت قراءته وأنا فى الطائرة ، حتى ألفيته مثيراً ، لدرجة أننى لم أستطع التوقف حتى أتممت قراءته . إنه كتاب خيالى « لجول ڤيرن » ، وعنوانه . . . انتظر لحظة ، سأحضر الكتاب !

تركت « ميمى » سماعة التليفون ، وذهبت لإحضار الكتاب ، وقالت وهى تركز بصرها على غلافه :

– إن عنوانه : « ميشيل ستروجوف رسول القيصر » . وهو يحكى قصة مدهشة ، تدور أحداثها فى روسيا منذ نحو مائة عام ، ولكن ، صبرا ، سأروى لك القصة .

فصاح « ميكى » مذهولا :

– ما هذا الذى تقولين ؟ هل من المعقول أن تروى لى القصة



تليفونيا ! إنها قصة طويلة ، وفضلا عن ذلك فقد سبق أن قرأتها مرتين . .

فقالت « ميمى » : وهى تجلس على مقعد وثير :

- أنا متأكدة من أنك نسيتها . هيا ، كن ظريفا ، واجلس مثلى فى هدوء واصغ إلىّ ! . .

حاول « ميكى » أن يقاطعها ، وهو يفكر فى المبلغ الضخم الذى ستتكلفه هذه المكالمة الخارجية :

- كلا يا « ميمى » ! انتظرى لحظة ! لا تنسى أن . . .

فأجابته صديقته محتدة :

- صه ! إننى سأروى لك القصة ، وأنا مصرة على ذلك فلا داعى للمناقشة .

تنهد « ميكى » فى استسلام ، وغاص فى مقعده استعدادا للاستماع .

كان صوت « ميمى » يصل إليه رقيقا ساحرا ، وقد بدأت تروى له قصة « ميشيل ستروجوف » المشوّقة . وبعد فترة قصيرة ، بدأ « ميكى » يشعر بتثاقل جفنيه ، فترك لنفسه العنان لتنساق مع هذا الشعور اللذيذ بالاسترخاء . وسرعان ما بدا له أن صوت « ميمى » يتباعد ويتباعد ، وأنه يزداد خفوتاً ، إلى أن استسلم أخيراً للنعاس . وطفق يحلم بأنه هو بطل القصة التى كانت



« ميمى » تسردها عليه .

ومن هنا تبدأ قصتنا . . . قصة « ميكى ستروجوف » .

٢

« بعد ظهر يوم جميل من أيام القرن الماضى ، وفى القصر الإمبراطورى بموسكو ، أقيم حفل استقبال فخم . كانت قاعات القصر تتلألأ بالأنوار ، وتعج بالنبلاء وكبار الضباط .

كان الجو يشع بالبهجة ، ولم يكن يبدو على أحد من المدعوين ضجر أو ملل . وفى القاعة الرئيسية كان عدد كبير من الرجال والسيدات ، يرقصون على نغمات موسيقى القالس . وكان القيصر نفسه من بين الراقصين ، وقد حاول جاهداً ألا يطأ قدمى زميلته فى الرقص . وهى محاولة لم يكتب لها النجاح .

كان القيصر يحاول التسرية عن زميلته ، فأخذ يمتدح رقصها قائلاً وهو يبتسم :

– إنك ترقصين القالس بمهارة فائقة يا سيدتى البارونة !

– هذا تلطف كبير منك يا صاحب الجلالة . ولكنى مع الأسف لا أستطيع أن أرد لك إطراءك . . .

– كيف ذلك ؟ ! ترى هل تعتقدين أننى لا أجيد الرقص ؟

– إن رقصك لا بأس به يا صاحب الجلالة ، ولكنك تميل



إلى الاعتقاد بأن أصابع قدمى هى حلبة الرقص . الأمر الذى يسبب لى ألما شديدا !

فأجابها القيصر فى لهجة يشوبها الغضب :

– حسنا ! ستدركين توا أننى أمهر راقص فى البلاط . .

قال القيصر ذلك . وهو يجذب البارونة بعنف ويدور بها فى أرجاء القاعة الواسعة . مصطدما بالراقصين ، وبالخدم وهم يحملون أقداح الشراب التى أخذت تتطاير بين الراقصين ، وصارت القاعة أشبه شىء بالملعب .

صاحت البارونة التى كانت تعانى من ضعف القلب متوسلة :

– كفى ! كفى ! إن رأسى يدور ، و . .

– لا تنزعجى ! . إننى لن أتركك تقعين !

وفى هذه اللحظة ، دخل القاعة الكبرى أحد الجنرالات فى زيه الرسمى ونياشينه اللامعة ، وأخذ يحاول عبثاً جذب انتباه الإمبراطور . ولما لم ينجح ، بادر بكتابة بضع كلمات على ورقة وثبتها فى طرف عصا طويلة ، وبمهارة فائقة تمكن من إيصالها أمام وجه الإمبراطور . . .

قرأ القيصر ما كتبه الجنرال . وفحواه :

صاحب الجلالة . . . يجب أن أتحدث إليكم فى الحال .



توقف الإمبراطور فجأة ، وأطلق سراح البارونة المسكينة التي كان الدوار قد بلغ بها أشده ، فترنحت ، وهوت على الأرض ، فتركها وتوجه نحو الجنرال ، وهو يصيح به : كم من مرة قلت لك ياجنرال «كيريلوف» أنني لا أحب أن يزعجني أحد وأنا أرقص !

أدى الجنرال تحية التعظيم للقيصر ، وأجاب :

– معذرة يا صاحب الجلالة ، إن الأمر يتعلق بموضوع لا يمكن إرجاؤه . وأخذ يتلفت حوله فى حذر وأضاف :

– هل يمكن أن نتحدث فى مكان آخر يا صاحب الجلالة ؟ ! فالأمر بالغ الأهمية ، ولا يجب أن يسمع حديثنا أحد .

– حسنا ، هيا بنا إلى المكتب !

قال ذلك والتفت نحو البارونة ، وكانت ماتزال جالسة على الأرض تحاول استعادة قواها الخائرة . واستطرد موجها حديثه إليها :

– أرجو المعذرة يا سيدتي البارونة . لقد جاء الجنرال فى وقت غير مناسب . ولكن . . .

فقاطعته البارونة قائلة : بالعكس ، إن الوقت مناسب تماما ! . .





– إن مهام الدولة تستدعيني ، ولكني سأعود لتستأنف الرقص

– لا يشغلنك أمرى يا صاحب الجلالة ، دع ذلك لفرصة أخرى !

وما أن غادر الإمبراطور القاعة ، حتى نهضت البارونة من جلستها على الأرض وهى تستند إلى الحائط ، وأسرعت بالتسلل للخارج ، رغبة منها فى العودة إلى قصرها ، لكى تضع قدميها فى حوض من الماء الساخن.

وفى المكتب الخاص بالقيصر : عقد اجتماع بالغ الأهمية . ولكن الإمبراطور كان قلقا ، يريد بفروغ صبر ، العودة إلى مدعويه ، وكان ينفث عن قلقه هذا ، بخبطات صغيرة وسريعه على منضدة أمامه . بينما كان «كيريلوف» يتكلم :

– يا صاحب الجلالة ، إن هذه اللحظة بالغة الحرج ، فجحافل التتار قامت بغزو حدود سيبيريا .

– وماذا فى غزو التتار لحدود سيبيريا ؟ ! إن ذلك لا يهمنا فى شىء .

أجاب الجنرال ، مشيرا بطرف عصا إلى خريطة كبيرة معلقة على الحائط :

إن سيبيريا ياصاحب الجلالة ، جزء من إمبراطوريتكم . إن



هذه المنطقة الشاسعة الواقعة فى آسيا الشمالية ، وعاصمتها إركوتسك يحكمها أخوكم الغراندوق يا صاحب الجلالة ، وهو يضطلع بمسئولية الحاكم .

– يااللعنة ! إن ما تقوله صحيح . لقد نسيت تماما أننى أمست سيبريا . وأننى بعثت بأحد أفراد أسرتى لحكمها

– إن الغراندوق معرض لخطر جسيم يا صاحب الجلالة . إن أحد رجال ميدانى لعليا . وهو الكولونيل « ماسكارا نجرينسكى » ، تخلى عن مركزه وانضم إلى صفوف « بيت هيبون خان » . أمير لسرر المغيرين عليها

فصاح القيصر : يااللخائن ! لسوف أغرقه فى برميل مملوء بالفودكا

– ولكننا مع الأسف لن نستطيع التوصل إليه يا صاحب الجلالة . . إنه هو الذى يهددنا الآن

أهوى الإمبراطور بقبضته على المنضدة فى غيظ وهو يكرر

– آخ ! آخ . . !

– تصوروا جلالتكم ماذا يمكن أن يحدث لو أن هذا الخائن المدعو « ماسكارا نجريسكى » وصل إلى إركوتسك . وقدم نفسه إلى أخيكم الأرشيدوق منتحلا صفة المستشار العسكرى ! فالغراندوق مايزال جاهلا بخيانة الكولونيل





فتساءل القيصر وقد بدا عليه القلق لأول مرة :

– وماذا يمكن أن حدث بعد ذلك .

– إن « بات هيسول خان » ، بفضل معاونة هذا الخائن ، سوف يعرف كل خطط الدفاعية فى سيبيريا ، وعندئذ يستطيع أن يحطم قواتنا ... فبادروا إلى تحذير أخيكم يا مولاى !

قام الإمبراطور من مقعده ، وأخذ يذرع أرض الحجرة دهـ[illegible] وجيئة ، ثم استطرد قائلاً : « يجب إذن ألا نضيع الوقت ! ولكنى لا أدرى لماذا انتزعتنى من الحفل ، طالما حل المشكلة [illegible] يدك ! بادر فورا بإرسال برقية إلى أخى ، تعلمه فيها عن حقيقة الموقف ! أما أنا فسأعود إلى القاعة إذ لا شك فى [illegible] قد نفد صبرها .

[illegible] مستحيل يا صاحب الجلالة [illegible] أجهزة البرق لا تعمل .

– ما معنى أن « أجهزة البرق لا تعمل » ؟ ! إذن ماذا تعمل أنت على رأس جهاز الشرطة الإمبراطورى ؟ كيف تسمح بتعطيل ممتلكاتى ؟ استدع لى وزير المواصلات ، ومدير التلغرافات ، ورئيس الصيانة ، لآمرهم بإصلاح العطب فورا . .

– إن هذا مستحيل أيضا يا صاحب الجلالة . إن العطب يقع على بعد ثلاثة آلاف وخمسمائة فرسخ من هنا ، فى منطقة

ومسك . لقد قطع التتار الخط . ليحولوا دون اتصالنا بسيبريا

- معى ذلك أن سيبريا أصبحت الآن معزولة ؟ بالنعمة ! إن الأمر أقوى مما يحتمل . إن تلك العصابات من قطاع الطرق ، يعرضون دولتي للخطر . يجب إذن أن يوفد رسولا بأسرع ما يمكن إلى إركوتسك . هذا هو الحل الوحيد . ويجب أن يتم اختيار هذا الرسول من خيرة ضباط الحرس الإمبراطوري .

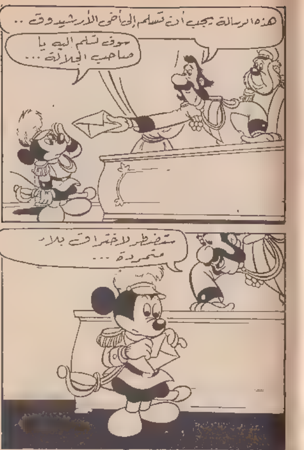
وبعد بضع دقائق ، وصل أحد الجنود إلى « ميس » ضباط الحرس الإمبراطوري . ووقف في حالة « تعظيم سلام » أمام أحد الضباط وقال :

النقيب « ميكى ستروجوف » ؟ ! إن جلالة إمبراطور كل روسيا يرغب في رؤيتكم فورا بمكتبه الخاص .

وبعد قليل ، كان الضابط الشاب يقدم نفسه للقيصر ثم للجنرال « كيريسوف » . م بصيغ الإمبراطور وقتا ومد يده إلى الضابط بمظروف مقفل ، وهو يقول بصوت آمر :

- أيها الشاب . إن هذه الرسالة المختومة بختمي الخاص ، يجب أن تصل بأسرع وقت ممكن إلى إركوتسك . وتسلم إلى أخي الأرشيدوق شخصيا .

فأجاب « ميكى ستروجوف » : سوف تسلم إليه يا صاحب الجلالة .



وستطرد القيصر : ولكي تصل إلى غايتك ، ستضطر لاختراق بلاد متمردة ، غزاها التتار .

- سأخترقها يا صاحب الجلالة

وسوف يلجأ التتار لكل وسيلة لمصادرة هذه الرسالة [illegible]

[illegible]

سوف أتجنب الخائن يا صاحب الجلالة .

وهنا اقترب الجنرال « كيربلوف » من « ميكي » وسلمه وثيقة أخرى وهو يقول : هذا هو جواز مرور باسم « نيقولا بوتوف » . إنك ستتنكر في هيئة تاجر ، لتمر دون لفت لأنظار إليك .

سأمر دون لفت الأنظار ياسيدي الجنرال .

فقال القيصر ،

تشجع يا « ميكي بوتوف » !

- اسمي « ميكي ستروجوف » يصاحب الجلالة .

[illegible]

- كلا ، كلا ، اسمك « نيقولا ستروجوف » . أوه كلا ! . . اسمك منذ الآن هو « نيقولا بوتوف » .



وعاد القيصر يقول مشجعاً ، وهو يمد يده مصافحاً الضابط الشاب

ومرة أخرى تشجع أيها النقيب . أرجولك النجاح فى مهمتك ، من أجل كل البلاد الروسية ! من أجل أخى ومن أجلى .

– سأنجز مهمتى ياصاحب الجلالة .

ضم لضابط كعبيه بشدة ، وانتصب فى وقفته وعظم القيصر ، ثم غادر المكتب فى خطوة عسكرية

وما أن وصل « ميكى » إلى بيته حتى حرر لخطيبته رسالة يقول فيها :

«عزيزتى ميموشكا» .

إنى راحل فوراً فى مهمة خاصة . تقتضيى أن أعبر جبال الأورال هذا ولا أعرف متى سأعود . كما أنى لا أستطيع أن أخبرك بأكثر من ذلك . لأن مهمتى بالغة السرية

مع قبلاتى

ميكى

واستدعى ميكى » مراسله « فدور » وسلمه الخطاب قائلاً :

« فيدور فيدوروفيتش » ، عليك بإيصال هذا الخطاب



إلى خطيبتي «ميموشكا ميميشكوفا» . ثم قم بعد ذلك بإجازة مدة شهر .

– لمدة شهر أيها النقيب ؟ ! هل ستقوم برحلة ؟ !

يبدو ذلك ! . إلى اللقاء يا «فيدور» . سأراك عقب عودتي .

٣

[illegible]

[illegible] المسافر الذى يضطر للسفر [illegible] . فقد كان عليه أن يرضى بصحبة الدجاج والماعز التي كان الفلاحون يحملونها معهم . وكانت ترقد على المقاعد وتعبق جو المكان برائحتها الكريهة .

[illegible]







وأقفل باب المقصورة ، حتى لايزعجه أحد : إنه كان حريصاً على ألا تشاركه الدواجن مقصورته .

وأخيراً ، تناهى إلى سمعه صوت ناظر المحطة وهو يصيح منبهاً المسافرين إلى ركوب القطار ، وسرعان ماتحركت القاطرة ، محدثة دوياً يصم الآذان ، وأخذت تنفث سحباً كثيفة من الدخان الأسود الخانق . تحمل « ميكى ستروجوف » صابراً ، اهتزاز القاطرة ، بل لقد تمكن من النوم ، لفترة من الزمن ، فى أثناء الليل وعندما ظهرت أولى خيوط الفجر عند الأفق ، كان

لقطار فهرب من محطة فلاديفو فخرج ليعيش «ستروجوف» من مقصورته . وجد نفسه في دهاليز عربة

كانت ثمة مفاجأة مذهلة في انتظاره . . فبينما كان يحاول شق طريقه بين أكوام الحقائب والسلال والأجولة ، سمع خلفه صوتاً مرحاً ، جعله يثب وثبة عالية في الهواء . ويطأ بقدميه دجاجة مسكينة . تصادف مرورها في اللحظة التي هبط فيها على أرضية الدهليز .

- أخيراً وجدتك يا «ميكي» ! لقد بحثت عنك طويلاً .

وهنا صاح النقيب مذهولاً ، وهو يفرك عينيه ، ليتأكد من أنه لم يكن يحلم :

«ميموشكا» ! ماذا تفعلين هنا ؟

خمس خطوات بين ... حتى عثت في عربات الدرجة الثالثة ولكن لماذا لم تستقري في الدرجة الأولى ؟ ولماذا لم ترتد بذلتك الرسمية ؟

فأجابها «ميكي ستروجوف» في صوت خافت يشوبه القلق وهو يتلفت حوله ليتأكد من أن أحداً لم يسمع كلمات «ميموشكا» الأخيرة : هشت ! إنني أتوسل إليك أن تصمتي .

ثم أمسك بذراعها ، وقادها إلى داخل مقصورته . وبعد أن أغلق الباب ، أخذ يشرح لها الموقف قائلاً :

- إنني مكلف بأداء مهمة حساسة . ولا يجب أن يعرف أحد



أنني ضابط في الحرس الإمبراطوري . لا أحد . . هل تسمعيني ؟

– أوه ، لقد فهمت ! إنك تقوم بدور جاسوس !

زفر « ميكي » زفرة عميقة وقال :

استمعي إلي يا « ميموشكا » . سأفسر لك كل شيء فيما عدا ما الآن . فيجب أن تتركيني ، إنك لاتستطيعين مرافقتي ، وستغادرين القطار في فلاديمير . ومن هناك تعودين إلى موسكو

– لن يحدث شيء من ذلك يا « ميكي » . إنني عندما علمت من رسالتك أنك ستعبر جبال الأورال ، قلت لنفسي : هاهي الفرصة التي كنت أحلم بها . لزيارة صديقتي « كلاريفا بيلاييفا » !

ولكن .

غير أن « ميموشكا » استطردت غير عابئة باعتراض خطيبها : أنت تعلم جيداً . أن « كلاريفا » تقيم حالياً في أومسك . وبالها من منطقة جميلة ! ولذلك سنسافر معاً . . أليس ذلك رائعاً ؟

رائعاً ! ! . . هل تظنين ذلك حقاً ؟ ! لقد أخبرتك أن هذا مستحيل . إنني في مهمة خاصة . . ألا تفهمين ؟ ! ! .

أرجوك حاولي أن تدركي موقفي !

إنني فاهمة ومقدرة موقفك تماماً . وإذا لم ترافقني حتى أومسك ، فلسوف أعلن أنك لست تاجراً . . بل نقيباً في حرس



الإمبر طورى !

وهد فتح ـ ب مقصوره ، وطل مه أحد الفلاحين رأسه وقد حاول « ميكى » عبثاً إسكات خطيبته ، وهو واثق من أن هذا الفلاح لابد أن يكون قد سمع الحوار فصاح يائساً :

– لقد سمع هذا الفلاح كل كلمة قلناها .

– لايهم ! . . فلا يمكن أن يكون قد فهم ماسمعه . إن فلاحى هذه المناطق لايتكلمون هجتنا . .

لقد كان « ميكى » على حق . ذلك لأن الفلاح العجوز كان قد أدرك تماماً معنى ماسمعه . وبادر بنقل هذا الخبر المثير إلى رفيقه فى السفر . وكان فلاحاً خشن المنظر . ما أن سمع مانقله إليه زميله . حتى انفجر ضاحكاً وقال :

– وهكذا فقد كنت محقاً . عندما طلبت منك اقتفاء أثر تلك الفتاة الشابة التى يبدو أنها من أسرة طيبة . وقد كنت أتساءل عما يمكن أن تبحث عنه فى إحدى عربات الدرجة الثالثة . أما الآن . فإننا نعرف ذلك . والفصل يرجع إليك يا « مالينكو » مرحى لك ! إن سمعك دقيق مرهف .

ومن يكون هذا الرجل ؟

– مادام أنه يسافر متنكراً فى زى تاجر بسيط ، فلا بد أنه رسول قيصر فى مهمة خاصة .





– أتظن ذلك حقا ؟

– أنا واثق من ذلك . ويجب أن أحصل على تلك الرسالة لتي يحملها بأي ثمن ... والآن أعرني سمعك لأشرح لك خطتي ! . .

ظل الرجل الغريب يتكلم بصوت خافت لبضع دقائق وبعد أن تم التفاهم على الخطة ، أخذ الرجلان يضحكان في نشوة بالغة

وبعد قليل وبينما كان القطار يسرع نحو نهاية خط « بيجي وفحورود » تعالت أصوات مستغيثة من العربة .

كان « ميليكو » معلقاً في الفضاء خارج العربة . وهو ممسك بيديه خشية السقوط . وكان واضحاً أنه إذا أفلتت قبضته ، لكان موت مصيره . وبدا موقفه ميئوساً منه

وتكررت أصوات الاستغاثة : النجدة ! النجدة ! فصاحت « ميموشكا » :

– هل سمعت يا « ميكي » ؟ إن بعضهم يطلب النجدة ! إن الصوت آت من الممر .

سأذهب لأستطلع الأمر . أما أنت فابقي هنا ، ولا تتحركي حتى أعود إليك .

اندفع الصبيان نحو ... مهرولاً نحو مصدر الصوت . وعندما



باب العربة مفتوحاً ، ورجلاً متشبثاً به بكل قوته . وما أن لمح الرجل « ميكى » يقترب من الباب ، حتى عاود الصراخ : النجدة ! النجدة !

وهنا عرف « ميكى » ، أنه الفلاح الذى شاهده منذ قليل عند باب المقصورة . ولم يتردد « ميكى » ، فمال بجسمه نحوه . ومد ذراعه نحو طرف الباب محاولاً جذبه نحوه لإغلاقه ، بينما أخذ الفلاح يناشده متوسلاً « لا تتركنى أسقط ! » فأجابه « ميكى » مشجعاً :

– تمالك أعصابك يارجل ! سوف أجذبك إلى الداخل .

وفى هذه الأثناء ، تناهى إلى سمع « ميكى » صوت يصيح أغلقوا هذا الباب ! إنه يحدث تياراً !

كان « ميكى » على وشك الاستجابة لهذا الطلب ، عندما شعر بيد تدفعه خارج العربة وسمعه خط . فأمسك بساق الفلاح العجوز ، ولولا ذلك لوقع تحت عجلات القطار

تراءت الأفكار على مخيلة « ميكى » . إن بعضهم قد دفعنى وإذا قدرت لى النجاة ، فسأرغم هذا الفلاح العجوز ، على أن يقدم لى بعض الإيضاحات .

وفى هذه الأثناء خرجت « ميموشكا » من المقصورة مخالفة بذلك أوامر « ميكى » وهى تحدث نفسها قائلة : قد تأخر فى



لعودة . ترى أين هو الآن ؟ إنى لا أراه .

وهنا سمعت أصوات طرقات صادرة من خارج العربة . فأطلت من النافذة ، وندت عنها صرخة مدوية

كان « ميكى » يتأرجح فى الهواء ، وهو متشبث بساق رجل آخر ، يحاول أن يتخلص من قبضة « ميكى » . وبدون أن تتوقف للتفكير ، وثبت « ميموشكا » نحو جرس الإنذار ، وجذبته بشدة وسرعان مادوى صوت الفرامل ... زيييّ ... فاهتزت العربات وتوقف القطار بعد أن زحف عشرات الأمتار على قضبانه وقذف هذا التوقف المفاجئ بالركاب من مقاعدهم ؛ وتساقطت الحقائب والسلال من فوق الأرفف وخرجت الدجاجات من أقفاصها وساد العربة هرج ومرج وعلا صخب الركاب وتداخل صياحهم وتعليقاتهم . وبوكت داخل العربة لسمعت الآتى :

ماذا حدث ؟

– لقد خرج القطار عن القضبان .

– أنت الذى خرجت عن وعيك .

– أين مفتش القطار ؟

– دجاجاتى ! دجاجاتى ! أين دجاجاتى ؟

– أين رئيس القطار ؟

– من الذى وضع هذه الدجاجة فى حقيبتى ؟



– أخرجونى من هذا القفص !.

[illegible] توقف القطار تماماً . حتى كان « ميكى » قد وضع قدميه على الأرض [illegible] الفلاح ثم جذبه بشجاعة [illegible] من [illegible] . فصاح « ميكى » فيه :

– [illegible] أيها الفلاح ! . فهناك بعض التفسيرات التى [illegible] .وأخبرنى عن أسباب هذه [illegible] الذى دفعنى من العربة شريكاً لك ؟

– أنا . . أنا لا أعرف شيئاً ياسيدى الضابط فى الحرس [illegible]

[illegible] ميكى [illegible] تختفى من وجهه . وقد أيقن [illegible] الفلاح قد سمع كل شىء . ولكنه تمالك جأشه وقال :

– ماهذا الذى تهذى به ؟ أنا لست ضابطاً فى الحرس [illegible] بل مجرد تاجر بسيط .

وهنا كان [illegible] قد هبط هو الآخر إلى جوار « ميكى » ، [illegible] فى احترام وهو يقول . طبعاً ! طبعاً ! وستطرد فى [illegible] أعطنى خمسين روبلاً . فلا أبوح بسرك لأحد .

[illegible] ؟ حذار أيها اللص الحقير !

[illegible]

وه ! إن سعادة الضابط يظلمنى . يجب على فخامتكم أن



تدركوا أن الحياة أصبحت شديدة القسوة على فلاح مسكين مثلي

حسناً ، هاهي ذي الخمسون روبلاً ، أيها الماكر الحقير!

وبينما كان الرجلان يتجادلان ، وصل مفتش القطار إلى المقصورة ، التي كانت تشغلها «ميموشكا» : وسألها :

لماذا حبست حرس الإمبراطور؟

أردت إنقاذ [illegible] من خطر الذي كان محدقاً به

خطر ! أحقاً ذلك؟

بالتأكيد . فقد كان يحاول إنقاذ أحد الفلاحين وهو يسقط من العربة . وقد عرض حياته لخطر جسيم [illegible] خطيبي رجل شجاع . وهو نقيب في الحرس الإمبراطوري!

[illegible]

[illegible] نقيب في الحرس الإمبراطوري! [illegible] مرحى . مرحى! إني أهنئك ولكن «ميشكا» قاطعه

[illegible] «ميكي ستروجوف» .

. . وهو ضابط في الحرس الإمبراطوري : هه؟ ولكن ماهذا الزي العريب الذي يرتديه؟

– إنه زي تنكري ، فهو قائم بمهمة خاصة . . ولكن إياك أن





تتفوه بكلمة واحدة عن ذلك ، فالأمر غاية فى السرية .

أحقاً ؟ سأتحرى الأمر .

– هذا هو مايقتضيه واجبك إن مفتش القطار ، يجب أن يفتش ! هيا ، قم بعملك ! ! .

تقدم المفتش نحو « ميكى » وسأله :

أنت لست ضابطاً فى الحرس الإمبراطورى . أليس كذلك ؟ أنت التاجر « نيقولا يوتوف » ..

فكر « ميكى » بسرعة : « لقد عادت « ميموشكا » إلى حماقاتها » ثم أجاب .

هذا صحيح إننى أدعى « نيقولا يوتوف » وأنا تاجر . ألا يعجبك ذلك ؟

فقال المفتش محنقا . انتظر لحظة . سترى جزاء من يزعج سلطات السكك الحديدية .

فسأله « ميكى » فى دهشة : ولكنى لم أزعج أحداً !

– كلا . أنا لاأتكلم عنك ، وإنما عن تلك الفتاة الصغيرة التى ابتدعت تلك القصة الخرافية . . .

وما إن أتم الرجل كلامه ، حتى عاد إلى المقصورة ، وبصوت ينذر بالشر صاح : « ميموشكا » : يجب أن تخجلى من نفسك ! . . . فقد هزأت بى ، وكذبت علىّ ولكن ذلك



سكتت كثيراً

فقالت « ميموشكا » فى أنفة :

– كيف تجرؤ ! لقد ذكرت لك الحقيقة ، وأن أسمعك من .

وهنا أدرك « ميكى » ، أنه يجب أن يتدخل :

– دعها تدفع غرامة ، إذا كان ذلك يرضيك ، ولكنى لا أسمح لك بأن تهينها .

حتقن وجه مفتش القطار غضباً ، وأزاح « ميكى » من طريقه ، وهو يقول : اصمت أيها التاجر ! وإياك أن أسمع صوتك !

ولم تتردد « ميموشكا » ، فرفعت مظلتها ، وأهوت بها على رأس المفتش وهى تقول : يالك من فظ سمج ! هل نسيت أنك تخاطب ضابطاً فى الحرس الإمبراطورى ؟

فهمس « ميكى » متوسلاً : « ميموشكا » أرجوك ! أرجوك اسكتى !

غير أن محاولاته لتهدئة خطيبته باءت بالفشل . . فقد ظلت « ميموشكا » ، تلوح بالمظلة فى الهواء مهددة .

اجتذب هذا النقاش ، عدد من المسافرين وتجمعوا فى الممر يراقبون مايحدث واستطرد « ميكى » قائلاً :



« ميموشكا » لقد قلت لك ألا

أجل ، أجل ، أعرف ! لايجب أن أفصح لأى كائن من كان ، بأنك ضابط فى الحرس الإمبراطورى ولكن هذا الوغد أثار أعصابى . يجب أن يدرك مع من يتكلم ! .

لم يعقب المفتش ، وانفض الجمع من حولهم . وبعد بضع ساعات ، وصل القطار إلى محطته النهائية فى « نيچنى نوفجورود » . وإذا بمفتش القطار يستدعى اثنين من الحراس المخصصين للمحطة . وأمرهما باقتياد « ميكى » و « ميموشكا » إلى مخفر الشرطة القريب من المحطة لاستجوابهما . وكانت جموع المسافرين يشهدون هذا المنظر وهم فى دهشة وفضول . فى حين تناقلت فيما بينهم شتى التعليقات :

يبدو أنه نقيب فى الحرس الإمبراطورى !

– بهذا الزى ؟ كلا ! كلا ! لابد أنه مهرب !

– آه ! إن الزوجين يليق كل منهما بالآخر . إنهما من المغامرين الخطرين . لقد كانا يريدان إخراج القطار عن القضبان .

– لعله هو الذى سرق دجاجتى !

وفى هذه الأثناء ، كان الفلاحون قد غادروا القطار ، وحتفوا بالجماهير ، حتى تمكنا من مغادرة المحطة وسارا هما فى الطريق



يبحثان عن مقهى ، قال الرجل الذى يبدو أنه الزعيم :

- من المؤسف أن خطتنا قد فشلت . لقد أفلتت منا فرصة التخلص من رسول القيصر .

- إنه رجل عنيد . إنك لاتستطيع أن تتصور ، كيف كان ممسكاً بسوطه بقوة . لقد خيل إلى أنه سينتزعه من جسمى .

- متى انتهى رجال الشرطة من تحقيق هويته ، فسوف يطلقون سراحه . ليعود فيستأنف رحلته ويجب أن نحصل على الخطاب الذى يحمله مهما كان الثمن .

وصل الرجلان إلى أحد المقاهى ، وجلسا يحتسيان كأسين من مشروبات مرطبة . بينما استطرد الزعيم قائلاً

إن « ميكى ستروجوف » لم يتوقف لحظة طوال مدة خدمته بالجيش الإمبراطورى ولذلك فهو لن يستطيع أن يتعرف فى على كمونيس « ماسكار نجرسكى » ها ! ها ! ها ! إن كل أوراق اللعبة فى يدى . هيا بنا يا « ماليتكو » ، ولنستعد للعمل فوراً ، بمجرد أن تسنح لنا الفرصة .

وفى هذه الأثناء ، كان « ميكى » و « ميموشكا » قد وصلا إلى مكتب الشرطة ، فأعطى « ميكى » تصكيره ، وصل إلى رئيس الشرطة ، وقال :

- نظر إلى جواز مرورى هذا ! . . إنه ممهور بتوقيع الجنرال



« كيريلوف » نفسه . أليس هذا هو توقيعه ؟

فصاح رئيس الشرطة بأن هذا إنه توقيعه فعلاً ثم رفع رأسه . وأخذ ينظر في هذا التاجر البسيط نظرة احترام ، وهو يقول لنفسه لابد إنه ذو مهمة خاصة . جعلت مدير الشرطة الإمبراطورية ، يوقع بنفسه على جواز مروره .

أما « ميموشكا » فلم تستطيع صبراً على الكلام . فقد التفتت إلى « ميكى » وقالت :

لماذا لاتصرح بحقيقة شخصيتك ؟ لماذا لاتصارح رئيس الشرطة ، بأنك رسول القيصر . وذلك موفد منه في مهمة خاصة ؟

فصحح « ميكى » غاضباً ألا تلتزمين الصمت لمرة واحدة في حياتك ؟ أرجوك وإلا . .

– ولكننا نستطيع أن نثق برئيس الشرطة ، فليس هو بالرجل الذي سيقول بسبب أن التاجر « نيقولا بوتوف » هو نفسه لقيب « ميكى ستروجوف » أليس كذلك ياسيدى الرئيس ؟

بدت الحيرة على وجه رئيس الشرطة . وأجاب بلا تفكير .

– أجل ، بالتأكيد ! . .

والآن هل قنعت بـ « ميكى » ؟ لم يكن هناك ما يدعوك للقلق



لم يجب النقيب «ستروجوف» ، وحاول جاهداً أن يسيطر على الغضب الذى كاد يفقده صوابه .

نظر إليه رئيس الشرطة وقال :

هاك جواز مرورك أيها النقيب أنتما حران ، أنت وخطيبتك .

شكراً ! ! . .

أوه ! أرجو أن تبلغ تحياتى إلى الجنرال «كيريلوف» عندما تراه !

– سأفعل ياسيدى الرئيس .

وعندما خرج الأثنان إلى الطريق ، أخذ «ميكى» يؤنب «ميموشكا» تأنيباً قاسياً

لقد صقت بك ذرعاً . إن تصرفاتك الصبيانية الحمقاء هذه يجب أن تتوقف [illegible] أسمعت من [illegible] تعتدى على ملأ أبى رسول القيصر . . . مفهوم ! ! .

كم أنت ظالم ! إننى لم أقل سوى الحقيقة لكى أحسك [illegible] وبفضلى تمكنت التخلص منها [illegible] هذه هى طريقتك فى شكرى . فإنى سأعود إلى موسكو دون قصر

فصاح «ميكى» مهللاً : يالها من فكرة رائعة !

– كلا . إننى سأواصل رحلتى . ولكننى لن أكلمك بعد ذلك .





لم يشأ « ميكى » أن يستأنف النقاش ، وواصل الاثنان طريقهما فى صمت إلى أن بلغا مطعماً راق لهما مظهره ، فألقى « ميكى » نظرة على قائمة الطعام المعلقة على الباب . وقال مخاطباً خطيبته .

– فلنتصالح . ولنقتصر تفكيرنا الآن على ما يعلنه عن طعوم الحلوى فإنى أكاد أموت جوعاً هنا ... ولدى وجبة شهية !

■

فى صباح اليوم التالى ، وصل « ميكى ستروجوف » وخطيبته « ميموشكا ميميشكوفا » إلى مرفأ النهر . وأراد أن يشتريا تذاكر للعبور .

كانت السفينة النهرية « القوقاز » سفينة تجارية قديمة ، تقوم بنقل الركاب والبضائع من شاطئ إلى آخر .

– صاح ميكى :

هاهى ذى « القوقاز » إنها ستنقلنا سريعاً إلى « برم »

فسألته « ميموشكا » : وأين تقع برم ؟

على الشاطئ الآخر . ستسير بنا السفينة فى نهر الفولجا حتى كازان . ومن هناك نصل إلى « الكاما » .

– وما هو « الكاما » ؟

هو أحد روافد نهر الفولجا .

يا إلهي ، « ياميكى » . . إنك تحفظ الجغرافيا عن ظهر قلب ! إنك حقا واسع الثقافة .

أجاب « ميكى » فى تواضع : لاتبالغى كثيراً ! . إننى لم أحصل إلا على الشهادة الأولية لرتبة النقيب .

وهنا كان « ميكى » و « ميموشكا » يتقدمان فوق المعبر ، عندما استوقفهما أحد الجنود :

قف ! ممنوع المرور !

ممنوع المرور ؟ مامعنى ذلك ؟

معناه ممنوع المرور . . . إن أوامر الحاكم صريحة . وهى معلقة على لوحة على الرصيف يمكنكما قرءتها

فاتجه الشابان نحو اللوحة التى أشار إليها الجندى . وقرأ « ميكى » بصوت عالٍ :

تجنباً للمواطنين من العبور إلى المناطق
التى أغار عليها التتار ، يمنع منعاً باتاً
إبحـــار المواطنين الروس إلى كازان .

صاحت « ميموشكا » : يالها من أوامر تدل على الغباء ! ! إننى أريد زيارة « كالاراييف » . ولن يمنعنى عن ذلك حاكم مقاطعة صغير







[illegible]

[illegible]

لحق معك ، [illegible]

قبطان « القوقاز » بذلك .

فصاح « ميكي » في غضب ، [illegible]

ها أنت ذي مرة ثانية تريدين أن [illegible]

حسناً ، [illegible]

[illegible]

ن مجرد الاطلاع على حوار ... ب . كعس أ بفتح أمامى كل الطرق والأبواب المغلقة !

- ولكن ماذا عنى أنا ؟ لا أعتقد أنك ستتركنى على هذا الشاطئ من العوالم ؟

- كلا . . اطمئنى ! لقد واتتنى فكرة . ولكن أرجو أن تنسى أننى النقيب « ستروجوف » ! أنا الآن التاجر « ييقولا بوتوف » .

فحسب

قال « ميكى » ذلك وقد خطيته إلى أحد المحال التجارية القريبة من المرفأ ، حيث اشترى بعض الحاجيات . وبعد فترة قصيرة ، كان مظهر « ميموشكا » قد تغير تماماً . لقد قايضت الملابس التى كانت ترتديها ، بالزى الذى ترتديه النساء المسلمات المحجبات

وبعد أن خرجا من المتجر ، تجها ثانية نحو رصيف الإبحار ، وقد وضع « ميكى » خطوط تفاصيل الخطة التى ستتبعانها

لا جدال فى أنك جميلة يا « ميموشكا » ، ولكن لا تنسى أنك منذ الآن ، لست سيدة روسية ، بل مسلمة من ... تقدمى إلى السفينة تمردت !



لن نستطيع الإبحار معاً ، فإن ذلك سوف يثير الشبهات والشكوك من حولنا . إن المواطن الروسى ، لايرافق امرأة مسلمة . أما أنا ، فسأستخدم جواز مرورى ، ثم سنتى فوق ظهر السفينة . فإلى الملتقى قريباً .

- إلى الملتقى يا « ميكى » !

افترق الشابان ، وتقدما إلى الرصيف من جهتين مختلفتين . وعندما مر « ميكى » أمام لوحة التى تخص إعلان الحكم ، أعاد قراءتها ، ثم غمغم قائلاً :

هيه ! هيه ! الواقع إن هذا الأمر يخدمنى . فإذا كان المواطنون الروس ممنوعين من مغادرة السفينة وعبور أى شخص الآخر ، فإن الغريبين اللذين اعتديا على ، لن يتمكنا من متابعتى ! . . . الحمد لله . . لقد تخلصت منهما أخيراً !

تمهل « ميكى » قليلاً وقد استغرق فى التفكير : ولكن ! . . من يؤكد لى أنهما لن يتنكرا ، كما فعلت « ميموشكا » ! إن أى راكب على ظهر السفينة قد يكون أحدهما ! يجب أن أكون شديد الحذر ، يقظاً ، إلى أن أصل بالرسالة إلى الأرشيدوق .







٥

ظلت السفينة « القوقاز » تنساب فوق مياه « الفولجا » الهادئة ، بضع ساعات .

لم يكن عدد المسافرين عليها كبيرا ، وقد تجمعوا عند مقدمة السفينة . كان معظمهم من الفلاحين ، وكان الرجال يرتدون قمصاناً ملونة ، وقلنسوات من الفراء ، أما النساء فكن يرتدين الإزار التقليدى الفضفاض ، ويضعن خماراً فوق الرأس . كان الجميع يثرثرون فى بهجة وسرور ، ويعلقون تعليق الخبراء على مرور [illegible]

كانت « ميموشكا » تجد [illegible] ، ولكنها كانت سعيدة [illegible] تتجاوب مع اهتزازات السفينة .

أما « ميكى ستروجوف » ، فكان يشعر [illegible] . وكان اهتمامه [illegible] من محاولة تكشف [illegible] المسافرين

[illegible] « ميكى » إن أعداءه لم يتراجعوا [illegible]

[illegible]

يا عزيزى « مالينكو » ، ... يتيح لنا أن نضع يكفى يعسرها كل حسب هواه لقد كنا مواطنين روسيين . أما الآن ، فنحن مواطنان صينيان . أنا موظف كبير أدعى « شوب سيوى » ، وأنت « بو - لى » سكرتيرى الخاص .

هىء ! هىء ! هىء ! إن مهارتك تفوق الشيطان ، ياكولونيل « نجرينسكى » . لم أكن أتصور أننا نستطيع مغادرة « سجن ... » ... سهلة ... أن أعترف بأن فكرتك لم تكن لتخطر لى على بال . . .

- ذلك لأنك مجرد من سمات المكر والذكاء يا « مالينكو » .

... ! إنه هو ! هذا هو « ميكى ستروجوف » ! .

كان النقيب « ستروجوف » متكئاً على « درابزين » السفينة على بعد بضع خطوات منهما . . .

... . وفى أثناء ذلك كانت « ميموشكا » تتمشى بالقرب منهما ، فسمعت هذا الحوار الذى كان يدور بينهما : إن صديقنا « ستروجوف » يبدو مهموماً !

- لابد أنه يفكر فى الفتاة التى كانت برفقته . لم يكن باستطاعتها أن تتبعه

... يفلت من أيدينا هذه المرة ! لابد أن نحصل على رسالة الإمبراطور قبل ، أن يصل إلى « برم » .



ومتى حصلنا على الرسالة ، تكون قد وصلنا إلى اليابسة ، وعندئذ نستطيع أن نصل إلى جبال الأورال فى أسرع وقت .

تملك « ميموشكا » ، ذعر شديد . . فحياة حطيبها فى حطر ، وقالت لنفسها . يجب أن أحذره حالاً [illegible] إذا ماعرف بوجود أعدائه على سطح السفينة ، استطاع أن [illegible]

اتجهت ميموشكا . . نحو « ميكى » وهمست له بما سمعته من الرجلين غير أن « ميكى ستروحوف » ، بدلاً من أن يبدى اهتمامه [illegible] . [illegible] يتحدث [illegible] فى ثقة [illegible] لا [illegible] [illegible] حسبه بكشاف [illegible] . وطلب منهم [illegible] يبتعد عنه

ولكن « ميموشكا » قاطعته قائلة : لقد جئت لأحذرك من الخطر الذى يحدق بك ، وبدلاً من أن تشكرنى ، تطلب منى أن اتوارى ! ؟

لاخوف على الآن ياعزيزتى . . . إنهما لن يجرؤ على مهاجمتى قبل أن نصل إلى « برم » . ومع ذلك سأحترس منهما . . . فلا تقلقى !

من تظنها هذين الصينيين ؟

إنهما روسيان ولاشك .

أهذان الصينيان روسيّان ؟ !

- نعم وقد تنكرا على هيئة الصينيين . ومن المحتمل أنهما



حس ، عدين السدين حاولا إلقائى من القصار

وما الذى ستفعله يا « ميكى » ؟

لاشىء الآن سوى الانتظار . إنهما لايزالان يجهلان وجودك على سطح السفينة . ولذلك يجب أن تجتهدى فى التحجب بقدر الإمكان ! والآن إلى الملتقى !

إلى الملتق يا « ميكى » !

وفى صباح اليوم التالى ، سمع الركاب صوت صفارة السفينة مؤذنة بقرب الوصول إلى « برم

كان « ميكى » قد غادر قمرته عند الفجر ، وجسر على السطح وسط الركاب ، إذ كان يعلم أن عدويه لن يتأخرا عن التحرك . فآثر ألا يبقى منفردا

ظل الصبيان المريفان يراقبان النقيب « ستروجوف » بعض الوقت وهما حانقان هذا لتطور فى الأحداث .

قال « مسكارا نجر بسكى » لزميله : إننا لن نستطيع أن نهاجمه هنا يخيل إلىّ ، أن هذا الماكر الصغير قد أدرك نوايانا !

م [illegible] رغم ؟

حب [illegible] ، وسنطره [illegible]

[illegible] من فكرة جهنمية !

[illegible] أنت [illegible] « مسكو » [illegible]



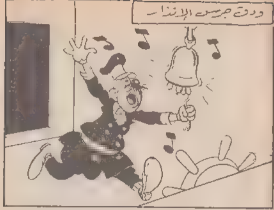
أمهر قاذف الخناجر ، عليك إذن بإظهار مهارتك !

– آه ، فهمت !

وبعد لحظة ، انطلق خنجر في الهواء ليستقر داخل خشب السفينة ، على بعد سنتيمترات من رأس « ميكي » ، الذي أدهشته المفاجأة ، وأخذ يتلفت حوله في كل اتجاه . . ترى أين [illegible] أول هدية من الصينيين ! [illegible] يكون من الأفضل أن أعود إلى غرفتي ، [illegible] خلف الباب ؟

تردد « ميكي » بعض الوقت ، وعلى بعد أمتار منه ، كان « مالينكو » يراقبه وهو متوار خلف المدخنة ، ويقول لنفسه : [illegible] إن صاحبنا لا يبدو عليه الاقتناع : فهو مايزال [illegible] سيهرول [illegible] لإنقاذ ، وإذا « بيموشكا » تبرز فجأة ، [illegible] تجرؤ على تهديد حياة رسول القيصر !

[illegible] « ميموشكا » ، وغمغم في ذهول :





بمشيطانة! » كيف استطعت هذه [illegible] . [illegible] تعرف أن التاجر «[illegible]» هو النقيب «ستروجوف» ؟

وفجأة شاهد قبطان السفينة يهرول على صرخات «ميموشكا» ، ويصيح : ما الذي يجرى هنا ؟

– أيها القبطان ! اقبض على هذا الوغد ! لقد حاول قتل رسول القيصر !

[illegible] على ظهر [illegible] ستصر لأحد عن تساؤله . [illegible] «ميموشكا» . فقد [illegible] «ماليسكو» [illegible] يحاول [illegible] . وهو يصيح . اتركيني أيتها المرأة ! دعيني !

وهنا اضطر «ميكى» إلى التدخل لمساعدة خطيبته ، فانتزع الخنجر من يد الشقى ، وأمسك بذراعه بقوة . بينما أخذت «ميموشكا» تنهال بقبضتيها فى ضربات جنونية فوق [illegible]

[illegible]

[illegible] وتمم قائلا : ان «ستروجوف» اللعين لشديد البأس ! يجب ان أحول



دون القبض على « ماينكو » بأى ثمن ، فهو إن تكلم ، قضى علىّ .

تناول « بجرينسكي » مصباحا ضخماً من مصابيح الإشارة ، وقذف به ســـه . فأصاب « ميكى » فى مؤخر رأسه ، وألقى به أرضاً فاقد الوعى . وسرعان ماتركت « ميموشكا » الشقى ، واندفعت نحو خطيبها ، وهى تقول فى لهفة :

- « ميكى » ! « ميكى ! » أجبنى هل يؤلمك رأسك ؟ . . نرسد قرصاً من الأسبرين ؟ ولكن « ميكى » لم يجب . وفى هذه الأثناء ، هرع عدد من البحارة نحو ميدان المعركة .

صاح « ماسكارا بجرينسكى » فى غضب . بحق الشيطان لم يعد لدى من الوقت مايسمح بسرقة رسالة الإمبراطور . هيا يا « مالينكو » ، وأسرع إلى الماء . لم يعد امامنا مخرج .

وسرعان ماألقى الشقيان بنفسيهما فى النهر ، وأخذا يسبحان نحو الشاطئ .

[illegible] المحارة . أطلقوا النار عليهما . إنهما جاسوسان . من جواسيس « بات هيبول خان » ! هيا ، اقتلوهما ! لقد أرادا قتل رسول القيصر .



رسول القيصر !

– وهل رسول القيصر هنا على ظهر السفينة ؟

– أجل ، إنه فى مهمة خاصة .

ماهذه الفوضى ؟ ! قلت لكم أطلقوا النار ! كلا ! . أنزلوا قارباً والحقوا بهما ! .

ومن ينزل ؟

– لقد عثرت على بندقيتى !

أطلق النار أيها الغبى !

لا أستطيع ياسيدى القبطان . . . لاتوجد معى ذخيرة !

بيد أنه عندما دوى صوت أول طلقة ، كان الشقيان قد ابتعدا عن مرمى النار :

قال « ماسكارا نحرينسكى » :

– الحمد لله ! . . . لقد نجونا ! . . نجونا بأعجوبة ، بسبب تأخر هؤلاء الحمقى فى إطلاق النار . . . لحدة حظنا ... سفينة بمثل هذا الطاقم من البحارة لم تعرف إلى الآن ! .

وصل الرحلان إلى اليابسة خائرى القوى . ومع هذا كان عليهما الإسراع بالهرب قدر استطاعتهما . فأخذ يسرعان الخطى نحو داخلية الإقليم . حتى يختفيا وسط الزحام . .

أما على ظهر السفينة ، فكان الضباط تتبع كل حركاتهما





بمظاره وأخيراً صاح بالبحارة «كفوا عن إطلاق النار! لقد هرب الجاسوسان».

استرد «ميكى» وعيه. واستطاع أن يتابع حالة الذعر والفوضى التى عمت سطح السفينة عند تشغيل صفير سفينة يفتقر إلى الكفاءة. ولم يكن رأى القبطان فى هذه اللحظة ليختلف عن رأى «ميكى».

قترب القبطان من «ميكى» وهو مطأطئ الرأس خجلاً وقال:

سيدى! إنى. إننى. فى الواقع لشديد الأسف. لو كنت أعلم حقيقة شخصيتك. لاستطعت أن أهيئ لك الحماية الكافية.

– لم يكن بإمكانى إخبارك، وأنت تعلم أن رسل القيصر يسافرون دائماً متنكرين. فلا داعى لشعور بالذنب...

ومرة أخرى انكشفت شخصية «ميكى ستروجوف» وإذ ستمر الأمر على هذا المنوال. فإن مهمة «ميكى» لابد أن تفشل تماماً. إن الأمر يستدعى إسكات «ميموشكا» بأى ثمن!

كان ميكى يشعر بالقلق، خوفاً من ثرثرة «ميموشكا» واندفاعها ولكن ماحدث بعد ذلك لم يكن بسببها... فإن القبطان لم يستطع أن يخفى مشاعره. فأخذ يصيح بأعلى صوته بالأذى

نهتف معا تحية لرسول القيصر ! هيا !

ودوى صوت يصم الآذان :

– **يعيش ! رسول القيصر ! .**

كانت « ميموشكا » تشعر بسعادة غامرة ، فإن الإعجاب لدى ثوره خطيبها . في كل مكان حل به ، كان يشبع غروره فلاتى تقول لنفسها : كم أنا سعيدة ومحظوظة ! ! . . إننى سأصبح زوجة لرسول من رسل القيصر . . وسوف يحمل رسائلى أنا بنفسى

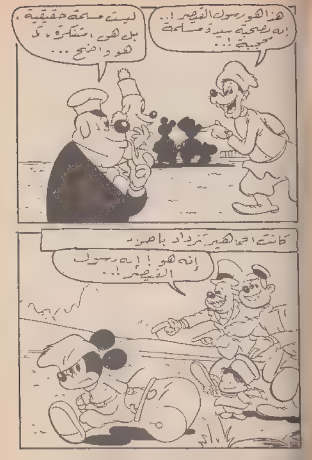
أمعن القبطان فى تودده . فاستدعى إليه أكثر رجاله ضخامة وقوة وغباء . وألقى إليه أوامره قائلاً :

– « إيجور » ! إنى أكلفك السهر على سلامة النقيب ستروجوف » حتى وصوله إلى « بيرم » أهل فهمت ؟

– أجل ، ياسيدى القبطان ! .

كان « ميكى » هو الشخص الوحيد الذى لم يشترك فى هذا الابتهاج فقد حل سهم مكتئباً . وجدد مكانه على سطح . فأسرعت « ميموشكا » باللحاق به ، ضاربة بشخصية المرأة المسلمة القادمة من تركستان عرض الحائط

–والآن يمكنك أن تطمئن يا « ميكى » ! فإنك فى حراسة قوية .





مد'ت فكر مصيبه في كل البلاد ومسة إني لا أفهم كيف تدبعين عن ملا'بني رسول القيصر ، بينما لم أكن معرضاً لأى حطر ؟ لا بد كيف بدت تسب في عشال مهمتي ؟

لك كل حق . أرجو أن تصفح عنى '

– لقد فعلت ذلك مئة مرة يا « ميموشكا » !

– أجل ، أعرف ذلك . . . ولكنى فقدت القدرة على التفكير ، عندما رأيت الشقى العصبي المزيف وهو يسدد خنجره نحوك .

حسنا ، فلنكف عن التحدث في ذلك . ولكن أرجو من الآن فصاعداً ، أن تكونى شديدة الحذر .

وبعد ساعة كانت « القوقاز » تدخل ميناء « برم » وكان « ميكى » و « ميموشكا » . أول من عبرا الجسر الخشبي الموصل إلى الشاطئ .

ولكن « ميكى ستروجوف » لم يتمكن . من التسلل خفية . فقد تقدم « يجو . يتبص ... وتصم كعبيه في حدث وتلى يده بالتحية العسكرية ، وهو يعس بصوت جهورى : إننى لسعيد جداً أن قمت بحراستكم حتى الآن ، أيها النقيب رسول القيصر !

شعر « ميكى » بأنه على وشك مواجهة كارثة جديدة . فبادر فجذب ذراع « ميموشكا » وأخذ يستحثها للإسراع

غير أن محاولته هذه جاءت متأخرة . فقد سمعت الجماهير ماقاله « إيجور » . وسرعان ماأخذت تجرى وراء « ميكى » وهم يشيرون إليه باصابعهم . وصاح أحد الفلاحين :

– هل سمعتم ؟ أحد فى « برم » نقيب رسول للقيصر !

– هذا هو ! إنى أعرفه هو بالفعل رسول القيصر وبرفقته سيدة مسلمة !

– ست مسمة حضقية !

– إنه رسول مريف !

– كلا بل هو رسول للقيصر حقاً ! وأخذت التعليقات تتناثر من كل صوب ، ولكن ، من بين كل التعليقات كانت عبارة « سول قيصر » تسمع بوضوح أحسن « ميكى ستروجوف » معه أنه سيفقد صوابه ولكن لحسن حظه بدأت الجماهير تمل هذه الظاهرة . وأخذت تمضى من حولهما إلى أن وجد الشابان نفسيهما مفردين . وهنا قال « ميكى » فى صوت تشوبه رنة من حزن : اسمعى يا « ميموشكا » ! لقد قررت أن أعود إلى موسكو . وسأطلب من القيصر أن يوفد رسولاً آخر بدلاً منى !

– إياك والإقدام على هذه الحماقة يا « ميكى » ! . . . إن ما تحتاج إليه لآن هو شىء من الراحة ها هو ذا فندق ، فهيا بنا







دخل الشابان الفندق وطلبا حجرتين مستقلتين ، ودونا البيانات الخاصة بهما فى سجل الفندق . وقد وقع « ميكى » باسم « نيقولا يوسف » على سجل الفندق . أما « ميموشكا » فقد وقعت باسمها الحقيق .

وما إن استقر « ميكى » فى حجرته ، حتى اغتسل وطلب قدحا من الشاى . بينما ذهبت « ميموشكا » فى جولة بالمدينة وابتاعت بعض المشتريات . وتوجهت فور عودتها إلى حجرة خطيبها وهى ترتدى ثوبا جديدا . وما أن رآها « ميكى » حتى صاح معجباً : ها قد عدت موسكوفية جميلة ! .

— وقد فكرت فيك يا « ميكى » فاشتريت لك ذقنا مستعارة من أحد المحلات التى تبيع الملابس المسرحية .

فتحت « ميموشكا » حقيبتها ، وأخرجت منها كتلة من الشعر وقدمتها لخطيبها وهى تقول : هيا ، جربها ! أريد أن أعرف ماإذا كانت تناسبك . لقد اخترتها من طراز « رسول القيصر » .

ولكن ، لماذا تريدينى أن أضع ذقناً مستعارة ؟ !

سأوضح لك الأمر : فلكى تذهب إلى « أومسك » ، لابد لك من مركبة خفيفة وسريعة . سأكون أنا سيدة المسافرة بالمركبة ، وأنت الحوذى ! من ذا الذى يستطيع أن يتعرف عليك ، وأنت فى هذا الزى التنكرى ؟

كانت « ميموشكا » شديدة لتحمس لمكرته ، فاستطردت :

إن أحداً لن يستطيع القول بأن رسول القيصر قد غادر « برم » . هيه ! . . . ماهو رأيك فى هذه الخطة ؟ ! ! .

– الواقع أنها فكرة عجيبة .

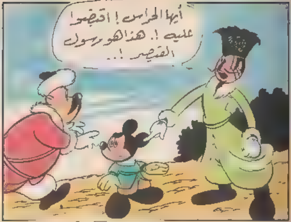
وعلت الابتسامة وجه « ميكى » وهو ينظر فى مرآة ليتأمل هيئته بتلك الذقن المستعارة ، واستطرد قائلاً : مرحى يا « ميموشكا » ! والآن يجب أن ننام . إن الطريق أمامنا فى لغد سيكون طويلاً وشاقاً .

٦

فى صباح اليوم التالى ، غادرت « برم » مركبة كان يقودها « ميكى » متنكراً فى زى حوذى ، ودلت بمهارة فائقة ، حتى إن ميموشكا » صاحت به مطربة . مرحى يا « ميكى » ! إننى لم أكن أعهد فيك هذه الموهبة كحوذى .

– هيه ، هيه ! إن رسول القيصر يجب أن يكون متعدد المواهب . لقد كنت بالأمس تاجراً . وأنا ليوم حوذى . أما غداً

ماهذا الذى أسمعه منك ؟ ألم تطلب منى ألا ننطق أبداً بهذه لعبارة ، « رسول القيصر » ؟






ومع ذلك، فقير بعيد من هنا...
عربة!..
ان الحوذي سوف يطلعنا على تحركات
القوافل مرديتها. سنجعله يتكلم!..

كانت « ميموشكا » تضحك وهي تشعر بأنها حققت نصراً على خطيبها الذى أجابها بقوله : الحق معك . ولكن من [illegible] وسط هذه الحال ؟ ! ! .

الواقع أن الطريق كان خالياً تماماً . وكانت المركبة [illegible] [illegible] وصاحت [illegible] لا [illegible] على مدى البصر .

أخطأت « ميموشكا » حين ظنت ذلك . فغير بعيد عنهما ، كان يختبئ عدد من فرسان التتار خلف الصخور وهم يرقبون العربة

وقال قائد الجماعة . يجب أن نوقف هذه المركبة ونقوم باستجواب الجودى ليدلنا على تحركات القوات الروسية

[illegible] المركبة ، وهم يطلقون [illegible] الرعب فى القلوب . فصاحت « ميموشكا » :

[illegible] أحس بقشعريرة فى ظهرى ! هناك من [illegible]

[illegible]







أيديهم ! فلنسرع !

أخذ « ميكي » يفرقع بسوطه ، لحث الجوادين على الإسراع . وأخذت العربة تتأرجح بشدة وعنف فتشبثت « ميموشكا » بطرف مقعدها . وهى تتلفت للخلف بين لحظة وأخرى [illegible] المسافة التى تفصل بينها وبين مطارديهم قد أخذت تتناقص ، فصاحت « بميكي » : إنهم يقتربون أكثر فأكثر . ماذا أنت فاعل ؟

– ليس أمامي سوى أن أحافظ على المسافة بيننا .

وفجأة ارتطمت إحدى عجلات المركبة بحجر ضخم . ولم تتمالك « ميموشكا » [illegible] تسقط على قارعة الطريق ، مصابة ببعض الرضوض البسيطة ، وأخذت تنادى على خطيبها لكى يتوقف . ووصلت صيحاتها إلى مسمع لنقيب « ستروجوف » . الذى لم يكن قد لاحظ سقوطها . فأخذ يجذب إليه أعنة الجوادين بكل ما أوتى من قوة . محاولاً إيقاف العربة [illegible] خطيبته [illegible] الجوادين ، وبدأ الفزع يسيطر على حواسه وأخذ يحدث نفسه قائلا

– إن الجياد قد أفلتت قيادها ، وأصبحت عاجزاً عن السيطرة عليها . ترى ما الذى سيحدث « لميموشكا » ؟ إن التتار



ظن « ميكى ستروجوف » أن نهايته قد دنت !..

سيصبون إليها مابين لحظة وأخرى ..

وبالفعل وصلت كوكبة من فرسان التتار إلى حيث كانت « ميموشكا » المسكينة تجلس على قدميه عريض . وقد بها تشاهد نسمه من بريق لامع من عينيه ، وصوت رئيس جماعته وهو يصيح : باكاراه ! فتعالت أصوات الجنود مكررة : باكاراه ! .

تقدم منها رئيس الجماعة وغرس طرف رمحه فى ياقتها ، ثم رفعها به فى الهواء ، وهو يطلق ضحكة خشنة عالية . فصرخت « ميموشكا » قائلة :

كف عن هذا السخف ! دعنى أيها الوحش . إنك تتنفس معطف ! ياللك من جاهل ، عديم التربية ! أيها البربرى !
فتساءل الرجل ، ويبدو أنه دهش هذه الكلمة الأخيرة

– بربرى ؟

– أو تترى ، إذا كنت تفضل هذه الكلمة . إن البربرى والتترى لايختلفان .

أما « ميكى » فكان فى ذلك الوقت لايزال يحاول جذب أعنة الحوادين . ولكن دون جدوى .. فقد أفلت زمامها ، وخرج الزبد من منخريهما .. ولم يسعه إلا أن يصيح بأعلى صوته : تشجعى « ياميموشكا » ! تشجعى .. سأحضر للدفع

عنك . . سأوقف العربة وأحضر إلى نجدتك .

ولكن الجوادين المذعورين ، كانا يزيدان من سرعتهما . وفكر « ميكى » فى أن يقفز من مقعده ، ولكن مثل هذه القفزة قد يكتب [illegible] فى هلاكه . وفجأة [illegible] عنه صرخة رعب . [illegible] شاهد أمامه هوة سحيقة . فصاح : ياإلهى ، لقد هلكت ! ... وداعاً يا « ميموشكا » ! .

ولم تمض سوى لحظات خاطفة حتى هوت المركبة فى الهوة السحيقة

٧

لم يفقد « ميكى ستروجوف » أعصابه . وتشبث بالمركبة وهى تهوى من حالق . لقد أيقن « ميكى » بأن نهايته قد دنت .

استمرت المركبة تهوى بسرعة مذهلة ، وهى ترتطم بالصخور تارة ، وتندفع فى الفضاء تارة أخرى . وفجأة ارتطمت بعنف وتحطمت . وتطايرت عجلاتها [illegible] وتشتت أجزاؤها الخشبية إلى آلاف القطع .

ولم ينج « ميكى » من نفس المصير إلا بفضل نجاحه فى البقاء على حافة المركبة . وبذلك لم يرتطم بالأرض مباشرة [illegible] البايات . . ساعدت على امتصاص أثر الصدمة . [illegible]





نفسه جالسا على الأرض ، ورأسه يدور . ولكنه [illegible]
فأخذ يتحسس نفسه فى حذر . ثم تنهد فى ارتياح وهو يغمغم :
لقد نجوت بمعجزة . ولم أصب إلا ببعض الخدوش !

أما الجوادان فقد كانت إصابتهما أشد درجة ومع ذلك ، [illegible] أن وصلا إلى الأرض ، حتى تمكنهما [illegible] . [illegible] وسط الصخور .

حسناً ! لقد تمت الكارثة دون ضحايا . وهذا هو المهم ولكنني فقدت « ميموشكا » . ومركبتى وكذلك « ذقنى » .

ظل « ميكى » فى مكانه لايتحرك لبضع دقائق [illegible] حقيبته ، [illegible] إنها الآن ولاشك أسيرة فى أيديهم ، وهاهو ذا النقيب « ستروجوف » عاجزاً عن [illegible] شيئاً لمساعدتها . ولكن « ميكى » [illegible] الحيلة ، إذ سرعان ماشمخ برأسه وهو يقول : إن أول مايجب علىَّ مراعاته ، هو ألا أنسى أنى رسول القيصر . إن الرسالة التى أحملها ، يجب أن تسلم إلى الأرشيدوق مهما كان الثمن . كما يجب [illegible] مهمتى . [illegible] يهدد [illegible] روسية [illegible] إن مهمة [illegible]



من مشاكل لحصة . فهي ليست على هذا من الأهمية عند لأمثال «ميكى» ! يجب مواصلة الطريق ! . .

سار «ميكى» طويلاً إلى أن وصل إلى ضفاف نهر . وعندما شاهد المياه الجارية بين الأعشاب العالية وشجيرات البوص ، واتته فكرة : لو أنني ركبت شيئاً يسير على النهر حاملاً ومعه ، لأمكنني قطع جزء كبير من الطريق بدون تعب ... إن هذا النهر ، ولا شك ، يجرى نحو «إركوتسك» وبهذه الطريقة لن أتعرض لخطر داوريات التتار .

وبدون أن يسترسل فى التفكير ، ألقى «ميكى» بنفسه فى النهر ، وترك للتيار أن يحمله معه .

ومضت ساعة شاهد «ميكى» بعدها قارباً عن بعد ... فغاص تحت الماء حتى لا يراه من فى القارب وعلى مسافة قصيرة عاد ليظهر بين أعواد البوص وفى حذر شديد . وكان يتطلع من بينها إلى القارب وشاغله . واستطاع أن يميز فيه أحد التتار . وهو منصرف بكليته إلى صيد السمك ، غير ملتفت إلى ما حوله .

وعاد «ميكى» للتفكير ! ... «إن هذا القارب يلزمني لكي أصل إلى إركوتسك ... كذلك سأقضي على هذا الحارس فلن يتمكن من تحذير رفاقه .

غاص «ميكى» وأخذ يسبح تحت الماء ، إلى أن وصل



أمسك شدرب ثم ادفع صعدا إلى لسطح . ودفع تقرب دفعه قوى قلبته رأساً على عقب . وألقت بشاغله فى الماء ، ثم تهيأ «ميكى» للانقضاض عليه ، ولكنه شاهد وجه الرجل . . إنه يعرفه ! .. فصاح فيه :

- ولكن . . لكنك لست تتريا ! أنت «بندقييف» صديق طفولتى ! .

- وأنت ! أنت «ميكى» ! . .

- هيا بنا نخرج من الماء ! ... إن المكان هنا ليس مناسباً لسرد الذكريات .

وصل الصديقان إلى الشاطئ ، وتغلغلا فى داخل الغابة وهما يتبادلان الحديث فى بهجة وسعادة .

قال «ميكى» : «كنت أعرف أنك حضرت للإقامة فى هذه منطقة . «مكى» لم يكن تصور ، هك . وحصة بهذه ملابس . «تتصرد» «ميكى» بعد تفكير بث على الأقل لم تحو بخدمة التتار ؟ ! ! .

- وهل تتصور احتمال ذلك ؟ إنك تعرف جيداً مدى شغفى بصيد السمك . فإذا أنا تخفيت تحت هذه الثياب ، استطعت صيد السمك دون خوف ب التتار يصوبون واحد منهم فيتركوننى وشأنى . ألا تراها فكرة طيبة ؟





– بدون شك . . ومع ذلك فإن فى عملك هذا بعض الخطر ... معتقداً ...

حقاً ! ولكن هل تعلم أنه لا يوجد عدد يذكر من الجنود الروس فى هذه المنطقة ؟

وهل نسيت أننى واحد منهم ؟

– هذا صحيح ولكن خبرنى ، ماالذى جاء بك إلى هنا ؟

وفى إيجاز ، أطلع « ميكى » صديقه على حقيقة مهمته ، وعلى الأحداث والمخاطر التى تعرض لها ، هو و « ميموشكا » .

فأجابه « بندقييف » :

لايشغلك ذلك . لقد أسعدك الحظ أن التقيت بى ... فى ... وهكذا ستتنكر أنت الآخر فى زى التتار . .

بالهى ! هل سأعود للتنكر مرة أخرى ؟

أجل . إننى أؤكد لك أن زى التتار هو أفضل جواز مرور فى هذه المنطقة ولن يعترض طريقك أحد .

وبعد قليل ، كان « ميكى » ينظر إلى هيئته الجديدة فى المرآة ... بندقييف » ، بينما صاح صديقه فرحاً ... يعرف ... تحت هذه الثياب ! إنك ستستطيع بعد قليل تسليم رسالتك إلى الأرشيدوق

خرج الصديقان من المنزل ، وأسرعا الخطى متجهين نحو ـهر . إلى أن وصلا إلى القارب الخاص « ببندقييف » ، وقال هد

– إننا سنسير مع النهر حتى « أومسك » . هيا ساعدنى فى علك لحب ! أخذ « بندقييف » يوجه القارب بمهارة ، وهو يتحدث إلى « ميكى » :

– عندما نصل إلى « أومسك » ، سنذهب إلى معسكر « بات هيبول خان » ، وهو المعسكر الذى يقودون إليه الأسرى من الروس . ومن المحتمل أن نتمكن من تحرير « ميموشكا » مقابل فدية .

فصاح « ميكى » :

– أحقاً ماتقول ؟ ! .. إذا نجحنا فى ذلك ، فإنى سأعهد بها إليك ، لتصحبها إلى منزلك ، حيث تكون فى أمان . بعدئذ سأحصل على جواد ، وأحاول الوصول إلى « إركوتسك » .

وبعد يومين وصل البطلان إلى « أومسك » سالمين وبينما هم سيران بالقرب من المعسكر ، شاهدا صفاً طويلاً من الأسرى . مكبلين بالسلاسل ، يقوم على حراستهم جنود مدججون بالسلاح ، وكانوا متجهين إلى مقر أمير التتار

فتساءل « ميكى » : ماالذى سيفعلونه بهم ؟





فأجاب صديقه : الأمر متوقف على مزاج الأمير ، وهو الذى يقرر مصيرهم . وعدد منهم يختطفون الأغنياء من الأسرى لكى يحصلوا على فدية ضخمة من ذويهم . أما الفقراء فسيعملون أرقاء . . وهكذا . .

ولكن « ميكى » قاطع صديقه هامساً :

– « بندقيف » ! انظر ! هاهى ذى « ميموشكا » ! .

بالفعل ، كانت « ميموشكا » تتقدم بين صفوف الأسرى ، مكبلة مثلهم بالسلاسل .

بسرعة وحذر تمكن « ميكى » و« بندقيف » من التسلل إلى صفوف الحراس دون أن يلحظهما أحد ، وأخيراً استطاعا الاقتراب من « ميموشكا » . وهمس « ميكى » :

لا تنظرى إلىَّ يا « ميموشكا » ! ولاترفعى صوتك ! »

عندما سمعت الفتاة صوت خطيبها ، كادت تصرخ من فرط اضطرابها . ولكنها لحسن الحظ تمكنت من السيطرة على عواطفها ، وقالت بصوت هامس : أنت على قيد الحياة ! . لا أستطيع أن أصدق ! لقد شاهدتك أنت بنفسى بمركبك فى أعماق الهوية ! »

فأخذ « ميكى » يقص عليها باختصار كيف تمكن من النجاة ، ثم سألها عما حدث لها .



– لقد أسرني التتار، ثم أحضروني إلى هنا، حيث قابلت صديقتي «كلاريف بيلايف»، التي وقعت هي الأخرى في الأسر. ألا تذكرها؟ إنها تسير خلفي مباشرة

التفت «ميكي» إلى الخلف. وشاهد صديقة «ميموشكا» التي كانت زميلة لها في المدرسة الثانوية. وقد عرفته الفتاة وابتسمت له ابتسامة رقيقة.

وسألته «ميموشكا»:

ماالذي سيفعلونه بنا؟ أرجو ألا تحاول إنقاذنا يا «ميكي». انهم سيأسرونك أنت أيضاً، فلن تتمكن من إنجاز مهمتك. أرجو ألا تفكر فينا. بل فكر في الإمبراطور.

– كفى يا «ميموشكا»! إننا هنا لإنقاذك دون تهور. والآن الزمي الصمت. فقد وصلنا إلى المعسكر!

وهنا صاح قائد الحرس:

قف! على الأسرى جميعهم أن يصطفوا على هيئة حلقة!

امتثل الأسرى للأمر دون تردد، وكانوا عند مدخل خيمة ذات ألوان زاهية، أكبر من باقي الخيام المنتشرة في المعسكر، ومن حولها وقف عدد من الحراس التتريين. وأمام هذه الخيمة جلس «بات هيبول خان» تحت مظلة من القماش. ومن تحته ومن

حوله . عدد من الوسائد المزركشة . كان أمير التتار يدخن النرجيلة فى هدوء ، وإلى جانبه جلس رجل نحيف ، أخذ يتفحص وجوه الأسرى بعينيه الضيقتين الحادتين ... لم يكن رجلنا هذا سوى « ماسكارا نحرينسكى » .

٨

تبادل الأمير بضع كلمات مع أحد ضباطه ، وهو رجل ضئيل الجسم ، ذو وجه كئيب . وعلى أثرها تقدم الضابط نحو الأسرى وأعلن : انتبهوا ! إن جلالة الأمير «يات ... » ... شكه من تعكر مزاجه . وقد قرر ان يمنح أسيرين يختارهم من ينجح فى ...

فصاح « بندقيف » : يالسماء ! هذه هى فرصتى ! سوف أقص عليه قصة لطيفة . واطلب منه تحرير « ميموشكا » و« كلارابيلا »

وبخطى ثابتة ، تقدم من الأمير . وانحنى أمامه انحناءة كبيرة وقال .

- استعد أيها الأمير العظيم لكى تمسك بضلوعك . وإلا فانك سوف تموت من الضحك !



يحكى أن:أذكر أم ٤٤ وقع فى غرام أنثى أم ٤٤ ، وخرجا يتنزهان ، وقد وضع كل منهما يده فى يد الآخر . ثم يدا أخرى فى يد . ثم يدا فى يد . . ثم يدا فى يد .

فقطعه «بات هيبول خان» وقد بدت الحيرة على وجهه : أم ٤٤ ؟ يدا فى يد ، ثم يداً فى . . .

وفجأة انطلق الأمير ضاحكاً فى قهقهة عالية،ارتجت لها جدران الخيمة .

— ها !ها !ها ! فهمتها !ها !ها !ها ! لطيفة جداً . . ها !ها !ها ! رائعة . إنى أكاد أموت من الضحك !ها !ها !ها !ها ! إنى أختنق ! ها !ها !ها !

كان الأمير منحنياً يخبط بيديه على فخديه ، وهو مستمر فى الضحك . أما حاشيته ، فكانوا ينظرون إليه فى حيرة ، وهم لايدرون كيف يتصرفون وأخيراً قال أحد الضباط :

قد ضحك الأمير «بات هيبول خان» فلنضحك جميعاً !

— لقد ضحك الخان . . . هىء ! هىء ! هىء

هئ ! هئ ! هئ !

وسرعان ما استغرق أفراد جيش التتار فى الضحك . بل إن الأسرى ، نسوا للحظة ماهم فيه من معاناة ، واشتركوا فى

تهليل



من خلف «ميكي» فكر وحده لدى ، شراً ؛
تلك المظاهرة الضاحكة ، وظل وجهه عابساً مقطباً .

وأخيراً هدأ الضحك ، وهتف الأمير «بندقيف» بحماس قائلاً :

- مرحى ، أيها المحارب ! لقد أزحت عن كاهلى شبح الكآبة . فأنت تستحق المكافأة التى وعدت بها ! هيا اختر من يروق لك من الأسرى ! .

تظاهر «بندقيف» بالطبع بالتردد فى الاختيار ، وأخذ يستعرض الأسرى فى خطوة متمهلة ، وأخيراً توقف أمام سابر وأمعن فيهما النظر ، ثم صاح :

- لقد أخذت هاتين الأسيرتين ، أيها الأمير الكريم .

وهنا وقع بصر «نجوجسكى» على وجه «ميموشكا» ، فصاح :

انتظروا لحظة !

سرى الرعب إلى قلب «ميكى» ، وهو يخشى بأس هذا الخائن اللئيم . لقد تتابعت الأحداث فى يسر حتى تلك اللحظة ، وها هو ذا يتدخل وقد يفسد كل شىء .

شهر الخائن سوطاً وتقدم نحو «ميموشكا» :

- إننى أعرفك ! أنت خطيبة النقيب «ستروجوف» !



أما أنا فلا أعرفك . وأحذرك من إهانتي .

– أجيبيني ! أين هي رسالة القيصر ؟

– في صندوق البريد على ماأعتقد ، أليس كذلك ؟

احمر وجه الخائن غضباً ، وصرخ قائلاً :

– أيتها اللئيمة ! سوف أجعلك تتكلمين !

– أوه ، رويدك ياسيدي ! يجب أن تحسن اختيار ألفاظك ، فنحن لا يستحق منا الاشتراك في زمرة الحيوانات !

كان الأمير التتري يراقب هذا المشهد باهتمام ، ثم صاح : ها ! ها ! كم هي جريئة تلك الموسكوفية الصغيرة .

زاد هذا التعليق من حنق « ماسكارا نجرينسكي » ، فأخذ يرفع سوطه في غضب جامح وهو يقول : إن الأمير يتسلى . ولكني لست مازحاً ! ستتكلمين الآن وإلا ... قال ذلك ورفع ذراعه بسوط مهدداً . كان « ميكي » يتابع هذا المنظر ، وقد غلى الدم في عروقه ، ودون أن يمهل نفسه للتفكير فيما هو مقدم عليه ، تقدم من بين الحشد ، وتقدم نحو الكوبيل ، وضربه برمح فوق رأسه وهو يصيح : دع هذه السيدة وشأنها أيها الوغد ! .

التفت « ماسكرا نجرينسكي » نحو مهاجمه ، وقد نسي آلامه ، وعلت وجهه ابتسامة صفراء ، وقال في صوت هادر



متعمد هاهو رسول القيصر يقع أخيراً في قبضتي ثم التفت نحو جنوده وصرخ قائلاً : أيها الحرس اقبضوا على هذا الرجل وهو يقهقه عالياً تترى . ووضع يده الضخمة على كتف « ميكى » الهزيل . أما « ميكى » ، فقد أدرك أن أية مقاومة يبديها فى هذا الموقف ، لن تجديه فتيلاً ... فاستسلم فى يأس .

واستطرد الخائن اللئيم : لقد هزأت بى مرتين متتاليتين فقال ميكى بازدراء : إذن فأنت هو « ماسكارا نيجرينسكى » ! . . الرجل الذى خان وطنه ! . . كان يجب أن أدرك ذلك . .

– كفاك عناداً أيها النقيب « ستروجوف » ! هيا أعطنى رسالة القيصر . إننى فى شوق لمعرفة فحواها .

وبحركة عنيفة انتزع من جيب « ميكى » الرسالة الخطيرة ، وشرع يفض ختامها ، وهو يرتعش لفرط انفعاله ، ثم قال :

– إن هذه الرسالة اللعينة حرمتنى النوم ، سأعرف الآن مايقول القيصر لأخيه .

قرأ « ماسكارا » الرسالة على عجل وأخذ يضحك مسروراً

– ها ! ها ! ها ! جلالة الإمبراطور يصح الأرشيدوق بأن يأخذ حذره منى .

أخذ « نجرينسكى » يلوح بالخطاب أمام عينى « ميكى » واستطرد قائلاً .



إن هذه الرسالة ستطلعنى على شيء جديد إن ماسكو نعم أننى الآن فى خدمة « بيت هيول خان » . ولكن بالنسبة لبروس العين يقصصون شرقى حيث لأول . . . مراسل بكوبويل « مسكارا نيجرينسكى » ، الخادم المخلص للوطن .

ثم التفت نحو أمير التتار واستطرد قائلاً

إن رسول القيصر دخل معسكرنا ، واستطاع بذلك أن يقف على مدى استعدادنا العسكرى . أما خطيئته ، فقد رفضت أن حسب على ستينى . . . لأمر العظيم إن أمر الصدف فى نفسه

متروك لك . وأنا أطالب بإنزال أشد العقاب بها .

إن الضابط الروسي كان متنكراً في زي التتار ، ولذلك فإنه يستحق العقاب المفروض على الجواسيس . أما هذه الموسكوفية الصغيرة ، فهي من الآن ملك هذا المحارب اللبق ، الذي نجح منذ لحظة في إضحاكي . ها ! ها ! ها ! إنني أضحك كلما تذكرت قصته !

ثم التفت الأمير إلى « بندقيف » وقال له :

[illegible]

[illegible]

انحنى « بندقيف » في احترام أمام الأمير ثم اتجه نحو الفتاتين ، فحل السلسلة التي كانت تربطها بباقي الأسرى ، وهو يهمس في أذن « ميموشكا »

تظاهري بالاستسلام والخضوع لمصيرك . . يجب أن نسرع بإنجاحكما ، وبعد أن أطمئن على سلامتكما ، سأعود لأخلص « ميكي » من براثن هذا الخائن البغيض .

٩

أطاعت الأسيرتان أوامر « بندقيف » ، وسارتا معه في خضوع واستسلام ، كان بندقيف يدفعهما أمامه ، وهو يمسح





بهما مهدداً بصوت عال . إتقانا لدوره :

هيا تقدما أيتها الكسولتان . سأقودكما إلى منزلى ، وإياكما وأى تباطؤ ، وإلا سحقت جسدكما .

زفر « ميكى » بارتياح . وقد عرف أن خطيبته قد نجت ، [illegible] له .

ابتسم «پات هيبول خان» فى شرسة ، وهو ينظر إلى سجينه . وقد وقف « ماسكرا بيجرينسكى » إلى جانبه يفرك كفيه فى سرور : إنه سيشهد العقاب الذى سيحيق بخصمه اللدود وأخيراً [illegible] وجه الأمير حديثه «الميكى» قائلاً :

- أعتقد يا« ميكى ستروجوف » أنك تتحرق شوقاً لمعرفة الجزاء الذى ينتظرك ! .

فأجابه النقيب الشجاع فى برود : لست فى عجلة من أمرى فباستطاعتى الانتظار حتى الغد إذ شئت ، لتتاح لك فرصة التوصل إلى فكرة . . هذا إذا كانت لأفكار يمكن أن تصل إلى هذا الدماغ المىء باهواء . .

وبعكس ماكان « ميكى » يتوقعه . فإن الأمير لم يغضب لهذه الإهانة . بل أخذ يقهقه :

ها ! ها ! ها ! لقد نجوا نقيبٌ [illegible] من ضباط القيصر .





وأهان أسد التتار ! أليس هذا بالأمر المضحك ؟ ها ! ها ! ها !

[illegible]

وصاح :

لماذا تنكرت فى زى التتار ؟ لتتجسس علينا ! . . أليس كذلك ؟ حسناً لـ . . . سوف أريك شيئاً لن تراه سوى مرة واحدة [illegible] !

قال ذلك ، ثم أشار إلى موقد مليء بجمرات من الفحم المتقد ، وقد غمس فيه سيف متوهج ، وستطرد قائلاً

سوف يمرر هذا السيف أمام عينيك ، فتفقد بصرك فى [illegible]

[illegible]

وعاد الأمير يسأله :

حسناً ماهو رأيك ؟

لاأعرف ! حب أن نرى .

نعم . حب أن نرى ! . . وإن كنت أنت لن تستطيع أن ترى شيئاً بعد [illegible]

وأضاف «انجريسكى»

– سوف تتعذب ! . . سوف يصل صراخك إلى مسامع

«ڤلاديقوستوك» !

لا تفرح ولا تشمت بذلك أيها الخائن اللعين . فإنك لن تسمع لى صوتا .

– سوف نرى ! . هيا أيها الجلاد !

وفجأة وصل إلى المكان جندى تترى وهو يعدو .. لم يكن هذا الجندى سوى «بندقيف» ، عاد لينقذ صديقه ، بعد أن اطمأن على سلامة اعتتر

وبنظرة خاطفة ، أدرك حقيقة الموقف ، فقد كان عد عادات التتار . وعندما شاهد الموقد المتأجج ، و سف لتوهج . أدرك نوع شكل سى حتارد الأمير . وسرعب متفتق دهنه عن خطة لإنقاذ «ميكى من العمى الذى ينتظره ، فقال بصوت لاهث :

– أيها الأمير الكريم . سى تس قود لاسرتنا إلى بيى . تذكرت قصة أخرى لاتقل غرابة عن لأولى . ولذلك عدت مسرعاً لأقصها عليك وتسمعها ..

هب أسمعى إياه وعسى أن تنجح فى إضحاكى هده المرة أيضا

هو قصة حسن قديم ، أخذ يروى لمجموعة من الجندير الحدد مغامرات شبابه . وقد تحدث هذ لقوقازى العجوز ، عن




وفجأة وصل جندي تترى مهرولاً . كان هو .. بندقيف !
أيها الأمير الكريم ، لقد تذكرت قصة أخرى عجيبة . فأسرعت بالعودة لأرويها لك ..
أحسنت أيها الجندي ! هيا . أضحكني !
كان ثمة جندي عجوز يرتدي الآتي !

آخر حرب خاضها فقد كان الموقف ميئوساً منه ، فالأعداء كانوا يحاصرونا ، وقد فقدنا كل اتصال بالخارج . واشتد الظمأ بالجنود . ولم يكن فى كل المعسكر ما يمكن أن نشربه . وهنا سأله أحد الجنود الشبان متعجباً : ولكن ألم يكن هناك ماء ؟ أو أى مجرى مائى ؟ فأجابه القوقارى المحبوز : ياله من سؤال ! لقد كان هناك نهر بأكمله ، ولكن من ذا الذى كان يستطيع التفكير فى الاستحمام فى مثل ذلك الموقف ؟

ها ! ها ! ها ! هو .. هو .. هو ..

انطلق الأمير يقهقه عالياً ، ومرة أخرى سرت عدوى الضحك بين الجميع . وسرعان ما علت ضحكاتهم حتى أن « ميكى » نفسه ، لم يستطع أن يقاوم رغبة ملحة فى الضحك . فانفجر ضاحكاً لدرجة أن الدموع ظهرت من عينيه . وسالت على وجهه .

استمر هذا الصخب الضاحك قليلاً ، وفجأة اعتدل أمير التتار فى مجلسه ، وصاح فى صوت آمر :

—كفى ! لننتقل الآن إلى الأمور الهامة . أيها الجلاد ، قم بعملك ! كن جلاداً عملاقاً ضخماً . فأمسك بسجين من قفاه لمنعه من الحركة . وباليد الأخرى ، أمسك بالسيف المتوهج ، وقربه من وجه النقيب الشجاع ، الضابط فى الحرس .



الإمبراطورى .

وهنا صاح « ماسكارا بجرينسكى :

– عظيم ' و لآن أيها الجاسوس الملعون ، يمكنك الانصراف لقد تيبست عيناك ، ولن تستطيع أن ترى شيئاً منذ الآن . وستحتاج دائماً لمن يقودك لم تعد فى حاجة بيلك هنا يا « ميكى ستروجوف » ! هيا انصرف من هنا ! .

فقال الأمير وهو يسترخى فوق الوسائد :

– حسناً ، حسناً ! أرجو أن تكون راضياً الآن « ياماسكارا بجرينسكى » .

فأجابه الخائن وهو فى حالة انفعال ظاهر :

إنى راض تماماً يا « پت هيبول خان » ! الآن وقد تخلصت من هذا العدو ، أستطيع أن أضع حصتى موضع التنفيذ وسأبدأ من الغد فأقدم نفسى إلى الأرشيدوق ، ولن تمضى ثمانية أيام ، حتى تصبح سيبيريا بأكملها بين يديك !

أخذ « پات هيبول خان » يراقب النقيب « ستروجوف » وهو مايزال تحت تأثير الصدمة . ثم التفت نحو « سدقيف » وقال :

– أيها المحارب ، تستطيع أن تصحب رسول القيصر ، فهو هدية منى إليك . ولعلك تستطيع أن تبيعه إلى أحد فلاحى سيبيريا وإن كان فى الحالة التى هو عليها الآن . لا يساوى أكثر



من رويل !

– شكراً لك أيها الأمير الكريم . أعتقد أنه قد يكون مفيداً لي بطريقة أو بأخرى .

قال ذلك ونخس ظهر النقيب المسكين بطرف رمحه وصاح :

هيا أيها الغبي ! تحرك ولاتخش أن تضل الطريق ، فإني سأقودك بطرف رمحي هذا ! . .

اقتاد « سدقييف » أسيره إلى خارج المعسكر . وسار الرحالان وسط حشود التتار ، و « ميكي » يصطدم من وقت لآخر بأحد الأحجار المتناثرة في الطريق ، مما أثار تفكه الجنود وضحكهم عليه . .

ابتعد الرحالان عن المعسكر ، فجأة ابتسم رسول القيصر ابتسامة عريضة ، وأخذ يقفز فرحاً وسط الأعشاب والشجيرات . ثم ارتمى الرحالان فوق العشب الرطب على حافة النهر ، لينالا قسطاً من الراحة بعد العذاب والتعب الذي لاقياه طوال اليوم .

لقد كنت رائعاً يا « سدقييف » ! لقد نجحت في إنقاذي في الوقت الذي كدت أفقد فيه كل أمل إني لاأدري كيف أشكرك !

– لاتبالغ ياصديق ! . . لو كنت مكاني لفعلت نفس الشيء ومع ذلك فإن الفضل لايرجع كله لي ، فلولم يسعفك



دكوُث فتصحت فى مثل ذلك الموقف حتى ندمع عيناك ، لما نحت حصنى

– أحل لولم أصحك حتى تدمع عيناى ، كنت الآن فى عداد العميان ولآن يحب علينا أن نهتم بأمر « ميموشكا » وصديقتها ، فإذا نحن بقينا طويلاً فى أومسك ، فقد نتعرض لوقوع فى أيدى الشترشية وإن أرجوك ياصديقى أن تبعدها عن هنا .

– حسناً ! . وأنت ماهى خطتك ؟

– لئن كنت قد فقدت رسالة القيصر ، إلا أننى عليم بمضمونها سأذهب إلى إركوتسك ، وأطلع لأرشدوق على حقيقة الموقف ، وأحذره من « ماسكارا نجوينسكى » .

اختتم « ميكى » حديثه ، وتهيأ للرحيل لإنجاز مهمته ، وألقى على صديقه آخر تعليماته ، ثم حانت لحظة الفراق فقال :

– وداعاً ياصديقى ! . . وأكرر توصيتى لك بأنه لايجب أن يعرف كائن من كان بأننى قد فقدت بصرى إن نجاح مهمتى يتوقف على كتمان هذا الأمر

وهل أستطيع أن أذكر لحقيقة « لميموشكا » ؟

نعم ، يحسن ذلك ! . . لقد قاست خطيبتى كثيراً ، وسيحزنها أننى فقدت بصرى



أخذ « بندقييف » يحرك مجدافى القارب بنشاط مبتعداً عن الشاطئ ميمما شطر أو مسلك . أما « ميكى » فقد وقف على الشاطئ . وصاح فى صديقه هاتفاً :

- حافظ على قاربك ، فسوف تحتاج إليه ! وداعا ! وليرعاك الله ! .

- وداعاً يا « ميكى » ! كن حذراً ، ولاسيما من « ماسكارا بجريسكى » .

وفيما بعد ، فى منزل « كلارابيفابيلابيفا » فى قلب مدينة أومسك ، كان « بندقييف » منهمكاً فى حديث هام مع الفتاتين ، وهو يحاول إقناعهن بأن « ميكى » يتمتع بصحة جيدة ، وإن العقاب الذى أنزل به لم يترك به أى أثر .

ولكن « ميموشكا » صاحت به فى انفعال :

ياصديقى العزيز إننى أجد صعوبة فى تصديقك . . . فكيف أصدق أنك أنقذت « ميكى » من الإصابة بالعمى ، بمجرد رواية قصة غريبة ؟

- إننى لا أستطيع أن أفسر لك ماحدث تفسيرا علميا يا « ميموشكا » .. ولكن « ميكى » يستطيع ذلك فهو أكثر منى تبحراً فى العلوم ، وإلا لما وصل إلى رتبة النقيب فى حرس الإمبراطورى . أما أنا فلست إلا صائد أسماك متواضع .





– قد تكون صائد سمك ولكن لك قلب كبير مثل المحيط .

كانت « ميموشكا » شديدة التأثر . وكادت الدموع تطفر من عينيها . فبادرها « بندقييف » ملاطفاً :

– حسناً ! حسناً ! علينا الآن بإطاعة تعليمات « ميكى » يجب أن نغادر هذا المنزل إلى النهر ، وسنستقل القارب ونتجه نحو الغرب . حيث نصبح فى أمان .

فصاحت « ميموشكا » : مهلاً ! . . تقول يجب أن نتجه نحو الغرب حيث الأمان ؟ ! ولكن « ميكى » يتجه نحو الشرق ! ! . . إنه يتجه الآن نحو الخطر إذن ؟ ! ! .

فأجابها « بندقييف » : هذا صحيح ولكن . . .

– ترى فى أى موقف خطر هو الآن ! قد يتعرض لمتاعب جديدة ويحتاج لمساعدتنا . إنى لم أقطع كل هذه المسافة من موسكو ، لكى أتخلى عنه الآن . فضلاً عن ذلك فإنى أود أن أسأله عن التفسير العلمى لما حدث . ولذلك فإنى سألحق به .

فصاحت « كلارابيلا » فى إصرار :

– وأنا سأرافقك . إننى أقرب صديقة لك ، ولن أتركك ترحلين وحدك . فغمغم « بندقييف » فى استسلام :

أعتقد أنه لافائدة من المناقشة ! . . إذن فلنتجه جميعاً نحو الشرق ، ولتكن كل نجوم روسيا فى عوننا ! .



قد ذلك وانكب على مجدافيه يحركهما بهمة ونشاط متجهاً نحو الشرق . . نحو الخطر . . ونحو « ميكى » ! .

وبعد مضى أسبوع على هذه الأحداث ، وفى « إركوتسك » ، كان الأرشيدوق . يعقد مجلساً حربياً فى القصر الإمبراطورى ، مع الكولونيل « ماسكرا نحريسكى » . وكان هذا الخائن قد وصل إلى الأرشيدوق ، ونجح فى اكتساب ثقته .

كان الرجلان يتدارسان خطة العمل ، مستعينين بخريطة كبيرة للمنطقة ، عندما دخل أحد الضباط مهرولاً إلى القاعة وصاح :

- ياصاحب السمو الإمبراطورى ! ياصاحب السمو الإمبراطورى !

- ماذا جرى ؟ . . ألا ترى أننا مشغولان فى دراسة الخطة التى تمكننا من القضاء على التتار ؟

- ولكن ياصاحب الجلالة . .

فقاطعه الأرشيدوق محنقاً :

كفى ! كيف تريدنى أكسب الحرب وأنت تضايقنى بهذا الشكل ؟

- ولكن ياصاحب السمو ، لقد وصل التتار ! . إنهم على أبواب المدينة .

إذن أغلقوا الأبواب !



كان يبدو أن الأرشيدوق لم يفهم المعنى الحقيقي للمعلومات التي تلقاها بنية البسيط الذي تملكه الخبرة . لقد أزعجه هذا الرد ، ولم يجد أمامه سوى أحد تفسيرين : فإما أن الأرشيدوق كان شديد الولع بالمزاح ، وإما أنه كان يلقى القول على عواهنه ! ولما كان يعرف بعض الشيء عن طباع الأرشيدوق ، فقد رجح التفسير الثانى ، واستدار معظماً ، وغادر القاعة .

وهنا قال الكولونيل :

ياصاحب السمو الإمبراطوري ، إنني بصفتي كولونيلاً فى هيئة القيادة العامة ، وكخبير فى المسائل العسكرية ، فإنى أسمح لنفسى بأن أعرض عليكم خطة حربية .

– لابأس ! .. هات ماعندك أيها الكولونيل !

– بدلاً من إغلاق أبواب المدينة فى وجه العدو ، فإنى أنصح بتركها مفتوحة

فصاح الأرشيدوق متعجباً . بحق كل مافى سيبيريا من مسح ! أهذا هو ما تدرسونه فى الأكاديمية العسكرية ؟!

نعم يامولاى ! ذلك لأن العدو عندما يجد طريق المدينة مفتوحاً سيعتقد بعدها أنها « مدينة مفتوحة » ليس بها شىء من وسائل الدفاع ، وعندئذ سيدخلها مطمئناً ، وفى الحال نقوم نحن بإغلاق الأبواب خلفه . وهكذا يوقع بالتتار فى فخ !



حقاً إنها خطة بارعة ياكولونيل !

لم يكن هناك من يجهل ما يتسم به الأرشيدوق من قصر نظر وغباء ، ولذلك لم يكن من المستغرب أن يعتبر « بجريتسكى » عبقرياً وقد اتجه الأرشيدوق نحو مكتبه . وأخذ ورقة بيضاء قدمها للكولونيل قائلاً :

- خذ ! هاهى ذى بطاقتى .. إننى لن أكتب عليها شيئاً .

فغمغم « بجريتسكى » فى دهشة :

ولكنى لاأفهم ياصاحب الجلالة ! مامعنى ذلك ؟

- معنى ذلك أنى أمنحك مطلق الحرية فى التصرف . وابتداء من هذه اللحظة ، فأنت ياعزيزى الكولونيل ، المسئول الوحيد عن الدفاع عن المدينة ، وعن إدارة العمليات الحربية !

وعندما وصل الكولونيل إلى حجرته ، أطلق لفرحته العنان وأخذ يفرك كفيه فى سعادة . فلم يكن يتصور قط أن يكون الأرشيدوق بهذا الغباء . وأخذ الكولونيل يذرع غرفته ذهاباً وجيئة فى فخر وكبرياء وهو يحدث نفسه .

- ها ! ها ! ها ! لو أن كل الروس بهذه الدرجة من الغباء ، لكان « نابليون » كفيلاً بأن يكون الآن فى موسكو .

ولكنى كنت أيضاً مهارة منى إذ استطعت التخلص من



بدأ « مسكو نحريشكى » يفقد أعصابه ترى هل ارتكب خطأ ما؟ وأخذ يحدث نفسه . إن النقيب « ستروجوف » أعمى . فكيف تمكن من الوصول إلى هنا ؟ إننى أشك فى أن يكون هذا الرجل هو رسول القيصر . ولكن ، ومهما يكن من أمر ، فيجب أن أحول دونه والتحدث إلى الأرشيدوق .

والتفت نحو الجندى الذى كان ينتظر الرد وقال :

سأستقبل رسول القيصر بنفسى . دعه يدخل ! . .

دخل النقيب « ستروجوف » الحجرة . وطبقاً للخطة التى وضعها . ظل واقفاً دون حراك . إيهاماً منه للكولونيل أنه أعمى حقيقة . وما أن رآه الخائن ، حتى صاح به وهو يستل سيفه :

– مرحى ! مرحى ! هانحن وجهاً لوجه مرة أخرى أيها النقيب « ستروجوف » ! . . أكنت تظن أنهم سيقودونك إلى الأرشيدوق ؟ ! لقد أخطأت إذن فى ظنك . فأنا هو الذى يستقبلك . إنى الآن مفوض فى كل السلطات العسكرية .

– هراء ! لقد دنا أجل ادعاءاتك أيها الخائن القذر

– ها ! ها ! ها ! أيها الغبى المغرور ، هل تظن حقاً أننى سأظل مكتوف اليدين فى انتظار قصاصك على مشاريعى ؟ ! . .

أخذ الكولونيل يقترب من رسول القيصر ، مشهراً سيفه ، دون أن تبدر من « ميكى » أدنى بادرة . فقد كان يلعب دوره



تمهل دفعة ، وفى اللحظة التى كان السيف فيها على وشك أن يصيبه ، مال بسرعة إلى الخلف ، فمر السيف فوق رأسه ، وقال ضاحكاً : «يخيل إلى أن بصرك قد ضعف يا كولونيل» ! .

رفع الكولونيل ذراعه بالسيف مرة ثانية ، وهوى به بعنف ، ثم مرة ثالثة ورابعة . . غير أن صاحبنا كان يتفادى كل هذه الضربات ، بنفس السهولة .

— ياللجحيم ! كيف استطعت أن تتفادى كل هذه الضربات ؟

لا أدرى ! لعلها معجزة ! ما رأيك ؟

ولكن . . لكن . . أنت تبصر ؟ ! . .

ها أنت قد فهمت أخيراً ! . . إننى أبصر جيداً ، والعقاب الذى أنزله بى شريكك المعظم ، الأمير «باتُ هيبوس خان» ، لم يجد فتيلاً . بل لعله خدمنى خدمة عظيمة ، إذ أننى بتظاهرى بالعمى ، تمكنت من اجتياز كل المناطق التى غزاها التتار .

ومنذ حدوث ... «نحرسكي» العديدة الكثيرة لإصابة بطلنا ، إذ ظل «ميكي» يتفادى كل الضربات التى انهالت نحوه .

وفجأة وبينما كان «ستروجوف» يتقهقر ، وصل بظهره إلى



الجدار ، فشهر «نحريسكي» هذه الفرصة ، وهجم عليه هجمة صاربة ، وحدث ما كان متوقع أن يحدث ، فقد انحنى «ميكي» سريعاً ، فانغرس سيف الكولونيل فى الجدار .

كانت تلك هى الفرصة التى ينتظرها رسول القيصر ، فبينما كان عدوه يحاول انتزاع سيفه من الجدار ، أسرع «ميكي» إلى أحد المقاعد ، ورفعه عالياً وهو يصيح متحدياً :

سنرى الآن ما إذا كنت تستطيع أن تتلافى هذه الضربة كما فعلت أنا ! . .

قال ذلك ، وهوى بالمقعد فوق رأس الكولونيل . فسقط هذا على الأرض دون حراك .

وبدون أن يضيع دقيقة واحدة ، أخذ « ميكى » يفتش كل جزء فى الحجرة ، إلى أن عثر على بغيته .

– يالحسن الحظ ! ... إن « ماسكارابجرينسكى » لم يكن من الذكاء بحيث يحرق الرسالة التى عهد إليه بها القيصر . إن هذه الرسالة ستحسم كثيراً من المصاعب ، ويكفى أن أطلع الأرشيدوق عليها ، لكى يقتنع بخيانة الكولونيل .

تناول « ميكى » سيف خصمه ، ووقف فى هدوء إلى أن أفاق غريمه من غيبوبته ، فرأى « ميكى » أمامه وسيفه فى يده ، وهو يقول له بصوت آمر :

– قف أيها التعس ! .. لقد انتهت مهلتك . إن الأرشيدوق سيقرأ باهتمام بالغ ما كتبه عنك أخوه القيصر

وبعد ساعة . كان « ميكى » قد أطلع الأرشيدوق على كافة أعمال الخيانة التى قام بها الكولونيل . وبعد أن أطلعه على رسالة القيصر . كشف له عن الخطط الحربية التى وضعها التتار ، وهنا كان الأرشيدوق قد وقف على كل تفاصيل الموقف .

أخذ الرجلان يتبادلان الآراء حول الخطة ، وإذ بضابط أركان يدخل مسرعاً وهو يصيح : ياصاحب السمو



لامبر صو.ت !

أهد أنت ثانية ؟ أى خبر سيئ تحمله هذه المرة ؟ !

- فرسان التتار يامولاى ، بقيادة «بات هيبول خان» سيعدون مهاجمة المدينة ! يكفى يامولاى أن تنظر من نافذة لتتحقق من ذلك بنفسك ! . .

تناول الأرشيدوق منظاره المقرب ، فهاله مارأى : فعلى السهل ، وعلى مرمى البصر ، تجمعت آلاف من فرسان التتا . وهم على استعداد للهجوم .

وكان على رأس هذا الحشد من الفرسان أميرهم «بات هسول خان» ، وقد امتشق سيفه على أهبة إصدار الأمر بالهجوم .

تهاوى الأرشدوق على أقرب المقاعد إليه وقال : إنهم سيستولون على المدينة ، فماذا تشير علىّ به أيها النقيب «ستروجوف» ؟

- سأشير عليك بعكس مانصحك به الكولونيل «بجرينسكى» يامولاى ! .

حين معت ! فلا شك فى أن خائن قد تفاهم مع «بات هسول خان» ، على أن يقوم هذا الأخير بالهجوم على المدينة بدون استخدام المدفعية ، عتقادا منه بأننى سأترك أبواب المدينة مفتوحة



— تلك هى الفكرة ياصاحب السعادة . سنتصرف كما لو لم يحدث أى تغيير فى الخطة : سنترك أبواب المدينة مفتوحة إلى آخر لحظة . وعندما يصل فرسان التتار إلى مرمى قنابلنا ، نقوم بإغلاق الأبواب . وسنبدأ فى إطلاق المدافع عليهم لسحقهم

فصاح الأرشيدوق فى حماس :

— عظيم جداً ! .. هذه هى الإستراتيجية العسكرية الأصيلة ! إنها خطة عظيمة ، عبقرية و محكمة . ستحتل بلا شك مكانة خاصة فى كتب التاريخ !.

وفى هذه الأثناء وعلى نحو كيلو متر ، من «إركوتسك» ، وأمام أسوار المدينة ، كان أمير التتار يصدر آخر أوامره .

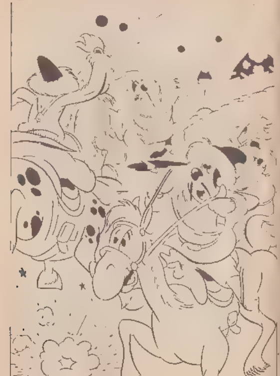
— أيها الجنود الشجعان ! .. إن أعظم انتصاراتنا فى انتظارنا الآن . حتى اليوم لم أطلب منكم أن تقاتلوا ، بل سأطلب منكم فقط أن تنتصروا ! . قال هذا ولكز جواده وشهر سيفه وهو يصيح : إلى الهجوم !

اندفعت حشود التتار خلفه مهللة هاتفة مما ملأ السهل ضجيجاً يثير الرعب فى القلوب .

كان هذا الاندفاع الجنونى يختلف تماماً عن الهدوء الذى كان سائداً داخل المدينة . كان الضباط على درجة عالية من الثبات وتمالك الأعصاب وهم فى انتظار أوامر الأرشيدوق سيده فى



تتابعت الانفجارات بطريقة مرعبة !..



أما الجنود فقد اصطفوا فى تشكيلات منتظمة .

واقترب أحد الضباط القوزاق من الأرشيدوق وقال بنفاذ صبر ! :

– ياصاحب السمو الإمبراطورى ! . . . إن فرسان التتار أصبحوا على بعد ١٠٠ متر .

– إذن فقد حانت اللحظة الحاسمة !

قال ذلك ورفع سيفه وصاح .

– إلى جميع البطاريات . **استعداد ! . اضرب ! . .**

وفى دوى هائل ، انطلقت جميع المدافع فى وقت واحد ، وحدث ما ينبه تسقط على التتار الذين دهمتهم مفاجأة ، لم يكونوا يتوقعون مثل هذا الاستقبال .

باللجحيم ! ماذا يجرى هنا ؟

[illegible]

– لقد وقعنا فى كمين !

وتتابعت الطلقات فى دوى رهيب ، وسرعان ماتحول ميدان المعركة إلى ساحة للهرج والمرج ، وأخذ التتار يجرون فى كل اتجاه ، وقد تملكهم الفزع ، وسادهم الاضطراب ، وكل منهم يحاول النجاة بنفسه . وفى خضم هذا الهرج كان بعض الفرسان ،

وهم يتدافعون فى حقول سعياً وراء النجاة ، يتصارعون فيما بينهم .

كان النصر واضحاً بعد فتح المدينة ، فالهزيمة التى حلت بالتتار كانت ساحقة ، ولم تبق سوى الضربة الأخيرة .

وهنا تقدم رسول القيصر من أحد المدفعجية ، ليحصل على نصيبه فى هذه المرحلة الأخيرة ، وقال له :

اترك لى هذا المدفع ، لأنى أريد أن أطلق قذيفة صغيرة ، فإذا نجحت فى إصابة الهدف فثق أنها ستكون خاتمة المعركة .

أخذ « ميكى » يتفحص الأفق أمامه فحصاً دقيقاً ، ثم وجه مدفعه بإحكام . . . و « بوم » انطلقت القذيفة تصفر فى الهواء . . . ووووووووووو ! واستقرت على رأس « بات هيبول خان » ، فأسقطته من على ظهر جواده .

وتمتم « ميكى » وهو ينظر من خلال منظاره المقرب : إن له رأساً صلبا ، هذا الأمير ! لقد أجدت التصويب ، وأصابت القذيفة جمجمته فعلاً . إن هدفى هو زعزعة الروح المعنوية فى باقى الفرسان ، وقد تحقق لى ما أردت وإذا لم أكن مخطئاً ، فإن التتار الآن يقاتلون فى سبيل الانسحاب .

لم يكن « ميكى » مخطئاً ، فعندما رأى التتار أميرهم وقد طرح أرضاً ، حتى أصابهم الذعر وأخذوا يهذون :





– إن هؤلاء الروس شياطين . إنني عائد إلى أمي !

– فلينج من استطاع ! .

– إلى اللقاء أيها الأمير ! .

– إلى الحرب القادمة أيها الرفاق !

– سنعود إلى ترتاريا . . إن المناخ هنا غير صحي بالمرة ! .

أما « بات هيبول خان » فبدأ يفيق من إغمائه ، وحاول النهوض وهو يترنح . لقد أيقن أنه من الأفضل أن يحذو حذو جنوده .

كان لايزال يشعر بدوار شديد وألم في رأسه ، ومع ذلك هرب مسرعاً وهو يتمتم بألفاظ بربرية ، لا يمكن ترجمتها مع الأسف .

أما الأرشيدوق ، فقد استبد به الفرح . وأخذ يحتضن كل من كان قريباً منه وهو يصيح : نصر ! لقد دافعنا عن مدينتنا وكسبنا الحرب . إن التتار ينسحبون بسرعة ! .

وأضاف « ميكي » : بل إنهم سوف يحرول بهذه السرعة إلى أن يبلغوا ترتاريا ! وعلى الأقل انتزعنا منهم كل رغبة وقابلية للحرب .

وأقيمت الاحتفالات في كل أرجاء المدينة ، ابتهاجاً بالنصر العظيم على العدو . وظلت أعين الحرس مفتوحة لاحتمال أن

يتجمع التتار ، ويعيدو تنظيم صفوفهم معودة لهجوم

وفى صباح اليوم التالى ، تملك الذعر أحد الحراس المتقدمين ، وأخذ يصيح . انتبه ! إن التتار يعاودون الهجوم !
ولكن قائد دورية الحراسة ، بادر بإسكاته لكيلا يشيع الذعر بين الأهالى . ثم تناول منظاره المكبر . وأخذ يتطلع من خلاله فى الاتجاه الذى أشار إليه الجندى .

- هجوم ؟ ! عن أى هجوم تتحدث ؟ ! إنى لا أرى سوى جندى تترى واحد . لا يمكن أن يشكل خطرا فبصحبته سيدتين . هل تسمى هذا هجوماً أيها الغبى ؟ ! . .

وعند الباب الغربى للمدينة ، استقبل الضابط مكتب الحراسة . الوافدين الثلاثة وطبعاً لم يكن هؤلاء الوافدون سوى « بندقييف » و « ميموشكا » و « كلاريبلا » ، الذين وصلوا متأخرين قليلاً لمساعدة رسول القيصر .

كان « بندقييف » لايزال متنكراً فى الزى التترى ، مما جعل ضابط الحرس ينظر إليه بارتياب لولا أن تقدمت « ميموشكا » وأوضحت له حقيقة الأمر ، وقالت : إن صديقى هذا ليس تترياً إنه موظف روسى . وهو مقيم فى سيبيريا وقد اضطر لهذا التنكر ، أقسم لك ياسيدى أنه تترى مزيف ! .

– تترى مزيف أو حقيقى فالأمر سيان . لأن التترى سيظل



د ئماً غبيا

– والغبى سيظل دائماً غبيا ! .

بالتأكيد ! ، لابد أن يكون هذا الضابط قد حصل على جائزة الأوسكار فى الغباء ولعله سيحصل عليها ثانية . .

– إذن استمع إلىّ أيها الملازم ! . . إننى مسئولة عن صديق ، وأنا خطيبة النقيب «ستروجوف» ، رسول القيصر ومنقذ «إركوتسك»

– كان يجب أن تذكرى ذلك منذ البداية . أرجو المعذرة يا آنسة ! . . تفضلوا بمرافقتى ، وسأقودكم إلى الداخل !

وهكذا اجتمع الشمل بطريقة غاية فى البساطة ، بعد فراق قصير ، وساعات عصيبة . . وما أن وقعت عينا «ميكى» على «ميموشكا» ، حتى اندفع نحوها فاتحاً ذراعيه وهو يصيح «ميموشكا» !

جرت «ميموشكا» هى الأخرى نحو خطيبها وهى تصيح :

«ميكى !»

انهمرت الدموع من عينى «كلارابيفا» عندما شاهدت هذا المشهد المؤثر ، تأثراً وفرحاً لسعادة أصدقائها :



– ما أجمل هذا المنظر ! لقد طارت الحمامتان كل منهما نحو الأخرى . .

وعلق « بندقييف » على ذلك بقوله : غريب . . لقد كنت واثقاً أن للحمام أجنحة وليس أذرعاً . يجب أن أدقق أكثر عند النظر إلى الطيور . . .

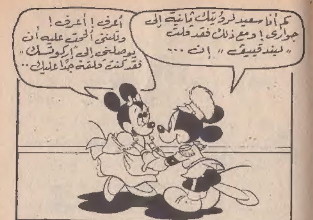
وصاح « ميكى » ، وهو يضغط على يدى « ميموشكا » فى حنان :

– ما أسعدنى برؤيتك ثانية إلى جوارى ! . . لم يكن فى تصورى أن تأتى إلى هنا ، ولقد قلت « لبندقييف » أن . .

– أعرف ! أعرف ! كنت تريد الاطمئنان على سلامتى ، ولكنى استطعت إقناعه بأن يصحبنى إلى « إركوتسك » . فقد استبد بى القلق عليك ، ولم أستطع الصبر لمعرفة الطريقة التى أنقذت بها عينيك . .

– ها ! ها ! ها ! إن الفضل كله يرجع إلى « بندقييف » . إن الأمر بسيط : لقد أثارتنى القصة التى رواها « لباث هيبول خان » لدرجة أننى ضحكت حتى دمعت عيناى .

وكان ذلك هو مايريده « بندقييف » . إن البخار الذى تصاعد من الدموع قد تجمع تحت الجفنين ، وكان بمثابة غشاء واق بين النصل المتوهج وحدقة العين . وكان ذلك كافياً لإبطال





تأثير الحرارة .

– أهذا هو التفسير العلمى ؟ ! .

نعم يا « ميموشكا » ! . والآن تعالى معى لأقدمك للأمير . . فهو متلهف لرؤيتك ! !

كانت « ميمى » قد قربت من سرد نهاية قصة « ميشيل ستروجوف » . لقد أمضت ساعات طويلة وهى تتكلم فى التليفون من أكابولكا . . ولم تلحظ أن الظلام قد هبط على الكون . . فأكملت قصتها : وهكذا وبعد مضى شهر على هذه الأحداث تزوج الضابط الجرىء من خطيبته الباسلة ، وأنجبا العديد من الأبناء والبنات ، وعاشا معاً فى سعادة وهناءة .

كان « ميكى » عند الطرف الآخر من الخط ، لايزال يغط فى نومه . . وأخذت « ميمى » تناديه :

– « ميكى » ! « ميكى » ! هل تسمعنى ؟

ولكن « ميكى » لم يكن يسمع ، فصاحت بأعلى صوتها : « ميه . كى . . ! » وعندئذ تنبه « ميكى » من نومه ، وانتفض مذعوراً وهو يقول : هيه ! ماذا ؟ مالذى يجرى هنا ؟

– هل أنت بخير يا « ميكى » ؟

– ماذا ؟ أوه ، أجل . أجل . إننى بخير .

– هل أعجبتك القصة التى قرأتها لك ؟





– أجل . أعجبتنى كثيراً يا « ميموشكا » . . أوه . . أقصد « ميمى » . . . وبينما كان صوتك العذب يداعب أذنى . كنت مستغرقاً فى أحلامى .

يالك من شاعر يا « ميكى » إن « فيكتور هوجو » نفسه لم يكن ليعبر بأروع من ذلك .

– لم يكن « فيكتور هوجو » يعرف التليفون !

– وبمناسبة ذكر « فيكتور هوجو » ، كنت أود أن أخبرك ، بأننى استعرت إحدى قصصه ، وأعتقد أن اسمها « البؤساء » . هل قرأتها ؟

– كلا . . .

– حسنا ! . . هاك ماسأفعله ! عندما أنتهى من قراءتها ، سأطلبك تليفونياً وأرويها لك . هل توافق ؟

ولم يجب « ميكى » فقد سقط مغشياً عليه ! . .

– ألو ! « ميكى » ألو ! لماذا لاتجيب ؟ ألا تجرؤ على قبول ماأعرضه عليك خشية التكاليف ؟ ولكن اطمئن ! سأطلب تحويل فاتورة المكالمة باسمك ! ! . .



ميكي ستروجوف

– أيها النقيب « ميكى ستروجوف » إن مصير روسيا بين يديك !

أحس « ميكى » بانفعال كما أحس بأهميته ، فضم كعبيه بشدة ، وتناول الرسالة الخطيرة التى عهد إليه بها القيصر ، ثم غادر القصر الإمبراطورى .

كان « ميكى » يعلم أنه مقبل على العديد من المغامرات ، وأنه سيضطر لمواجهة جحافل قوات « بات هيبول خان » الشرسة ، وفضح ذلك الخائن الروسى الكولونيل « نجرينسكى » ومع ذلك كان على استعداد لمواجهة المخاطر والصعاب . . فقد كان يشعر حقا بأنه بطل من أبطال مغامرات « چول فيرن » . . ولا عيب فى هذا . . فمن الطبيعى أن يحلم الإنسان ويتخيل . . فأحياناً يكون للأحلام رد فعل ونتائج مذهلة .

